دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	تصميم العمائر الدينية الحفصية والزيانية والمرينية ببلاد المغرب: دراسة آثارية مقارنة
المصدر:	مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية
الناشر:	جامعة سيدي محمد بن عبدالله - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المؤلف الرئيسي:	أبو رحاب، محمد السيد محمد
المجلد/العدد:	ع21
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2015
الصفحات:	234 - 294
رقم MD:	767464
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex, AraBase
مواضيع:	الفن المعمارى، العمارة الإسلامية، عمارة المساجد ، الزخرفة المعمارية ، دولة الحفصية ، دولة الزيانية ، دولة المرينية، المغرب - تاريخ
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/767464

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

تصميم العمائر الدينية الحفصية والزيانية والمرينية ببلاد المغرب – دراسة آثارية مقارنة

د. محمد السيد محمد أبو رجاب
قسم الآثار – كلية الآداب – جامعة أسيوط

ملخص البحث :

زخرت بلاد المغرب في عصر الدول الثلاث الحفصية والزيانية والمرينية، التي تقاسمت ممتلكات دولة الموحدين، بعمائر دينية متنوعة من مساجد جامعة ومساجد فروض ومدارس، ما زال بعضها قائمًا حتى الآن كآثار فنية أصيلة، تشهد بالنضج والازدهار الذي بلغه الفن المعماري بهذه البلاد آنذاك، وهى لا تقل أهمية عن مثيلاتها الموحدية، وتعد بحق من روائع الفن المعماري الإسلامي.

وقد عرضت كثير من الدراسات الآثارية الجادة، لهذه العمائر في إطار دراسات وصفية وتحليلية معمارية وزخرفية، في حين لم يسلط الضوء على البعد المقارن بين تصميم هذه العمائر، وإبراز أوجه الشبه والاختلاف، وجوانب التميز والانفراد فيما بينها، ومحاولة تفسير هذه الجوانب.

وتعكس هذه العمائر كثير من أوجه الاختلاف في تصميمها، بالرغم من وجود قاسم مشترك بين الدول التي شيدتها، وهو أنها تقاسمت ممتلكات الدولة الموحدية ببلاد المغرب، كما سبقت الإشارة، فضلاً عن الجوار والعلاقات والتأثيرات المتبادلة بينها نتيجة لهذا الجوار، ووحدة المذهب، وخضوعها لنفس العوامل البيئية والمناخية، وهكذا فإن هذه الدراسة تهدف إلى إبراز وتسليط الضوء على البعد التصميمي لهذه العمائر، بوصفه أساس التخطيط والأنماط المعمارية؛ لتكتمل

المعرفة بأنماط تصميم العمائر الدينية ببلاد المغرب، في تلك الفترة المهمة من تاريخ هذه البلاد في العصر الإسلامي.

1. مقدمة:

شهدت بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامى قيام دول كبرى، كان لها على اختلاف الفترات التاريخية دور مهم في التاريخ الحربي والسياسي لهذه البلاد، تمثل في جهاد كبير وحروب متواصلة تركزت – في الغالب – في اتجاهين، أولهما: يقوم على توحيد المغرب الكبير وصهر أقاليمه في بوتقة واحدة، وحمايتها من الأخطار الخارجية، وقد ظهرت الإرهاصة الأولى لهذا التوجه في العصر المرابطى وتبلور في عصر الموحدين، ثم عاد بصورة مصغرة في عصري الحفصيين وبني مرين[1]، وثانيهما: يقوم على الجهاد في الأندلس ومساعدة جيرانهم وإخوانهم في الدين من أطماع ملوك إسبانيا، لاسيما بعد انهيار الحكم المركزي في الأندلس بانتهاء الخلافة الأموية، وقيام ملوك الطوائف[2].

كما كان لهذه الدول دورها الحضاري المتميز الذي شكل اقتصادًا قويًا، نلمسه فيما خلفته من آثار معمارية متنوعة مازالت قائمة بكل من المغرب الأدنى والأوسط والأقصى، وتجسد هذه العمائر على مستوى تاريخ العمارة خصوصية واضحة في التخطيط والإنشاء والزخرفة تميزت بها هذه البلاد، واستمرت حتى القرن(10هـ/16م) عندما خضعت– باستثناء المغرب الأقصى – للسيطرة العثمانية[3].

---

(1) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، الجزء الثاني- العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص 873.

(2) محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 – 17م, مطبعة أفريقيا الشرق, الدار البيضاء, 1991م، ص ص 26-34،37.

(3) إبراهيم حركات: السياسة والمجتمع في العصر السعدي, دار الرشاد الحديثة, الدار البيضاء, 1987م، ص 299. خضعت الجزائر وتونس لكثير من التأثيرات الأجنبية, وهي مزيج من فنون الشرق والغرب, وقد ساعدت على نمو فن جديد أسهم فيه المرتزقة والرقيق من صقلية وإيطاليا وفرنسا وإسبانيا وغيرها ممن استقدمهم البايات والباشوات من استانبول وآسيا الصغرى, ولم تلبث هذه المؤثرات أن انتقلت إلى المغرب. انظر, إبراهيم حركات: نفس المرجع, ح1، ص 298؛ خيرة بن بلة: العمارة الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني – بين الطراز المحلي والتأثيرات العثمانية، المؤتمر الخامس عشر للاتحاد العام للآثاريين العرب، مدينة وجدة – المملكة المغربية، الجزء الأول،2012م، ص 1107.

وعلى الرغم من ذلك، فإن قدوم جماعات وأجناس مختلفة من عرب وأندلسيين وأوربيين في فترات مختلفة إلى بلاد المغرب، فضلاً عن العلاقات الخارجية؛ أدى إلى تنوع مصادر التأثيرات المعمارية والفنية الوافدة بتنوع منابعها، ومن ثم كان لكل قطر في كل فترة زمنية طابعًا يميزها في قليل أو كثير عن الفترات الأخرى(1).

فبعد الفتح الإسلامى لبلاد المغرب، بدأت هذه البلاد تستقبل التأثيرات المعمارية والفنية من المشرق، وبخاصة من الشام والعراق ومصر، وكانت القيروان آنذاك من أهم الحلقات الحاملة للتأثيرات المشرقية إلى المغرب، حيث امتزجت تلك التأثيرات بالأساليب الفنية المحلية، التي كانت وثيقة الصلة بالفن الروماني، وقد نضجت هذه الأفكار المعمارية والزخرفية وتطورت عبر العصور، وانتشرت من القيروان إلى سائر بلاد المغرب(2)، بل والأندلس أيضًا(3).

ولكن بعد الهجمة الهلالية على بلاد المغرب وتخريب القيروان(447هـ/ 1055م)، لم تعد هذه المدينة تستأثر بهذا الدور الذي أدته من قبل، بل خضع المغرب الأدنى وغيره من بلاد المغرب لتأثير الفن الأندلسي، لاسيما بعد أن ضم المرابطون الأندلس إلى المغرب بعد موقعة الزلاقة عام(479هـ/1086م)، وساد في كل من بلاد المغرب والأندلس ما يعرف بالطراز الأندلسي المغربي، الذي يُعد مزيجًا من فن المغاربة والأندلسيين(4)، وقد نما هذا الطراز في عصر الموحدين وخضع لمؤثرات وروافد جديدة أتته من القيروان وقلعة بني حماد، التي يلاحظ في فنونها التأثيرات العراقية

---

(1) جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى, ترجمة محمود عبد الصمد هيكل, منشأة المعارف بالإسكندرية, 1991م، ص 344؛ محمد الباجى بن مامى: جوامع تونس في العهد العثماني دراسة تاريخية وفنية ومعمارية, بحث نشر في مجلة جمعية الآثاريين العرب, المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي، العدد الأول، القاهرة، يناير 2000م، ص105.

(2) مراد الرماح: مدرسة القيروان المعمارية، بحث نشر في كتاب الفن العربي الإسلامي ، الجزء الثاني- العمارة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1995م، ص ص 104، 124؛ عثمان إسماعيل: نشأة الفن الإسلامي وأصوله وتأثيره على فنون أوربا (I)، بحث نشر في مجلة دعوة الحق، العدد الخامس، السنة الثالثة، وزارة عموم الأوقاف، الرباط – المغرب، فبراير 1960م، ص65.

(3) أسامة طلعت عبد النعيم: القيروان أحد معابر التأثيرات الفنية المشرقية في الأندلس- عنصر المحارة نموذجًا، بحث نشر في كتاب ندوة القيروان وجهتها اكتشافات جديدة – مقاربات جديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس 2009م، ص 75.

(4) عثمان إسماعيل: الفن الإسلامي بالمغرب، بحث نشر في مجلة دعوة الحق، العدد العاشر، السنة الثالثة، وزارة عموم الأوقاف، الرباط – المغرب، يوليو 1960م، ص61.

والمصرية-كما سبقت الإشارة- ، واستمر هذا الطراز حتى سقوط دولة بني الأحمر في غرناطة(897هـ/1402م)، وانتهاء دولة الإسلام في الأندلس(1).

وبعد سقوط غرناطة انتقل كثير من أهلها إلى بلاد المغرب، وحملوا معهم كثيرًا من الفنون التي كانوا يمارسونها في بلادهم إلى وطنهم الجديد، بل وطوروها(2)، لكن الملاحظة الجديرة بالاعتبار أن تأثير الطراز الأندلسي المغربي استمر على أقطار الشمال الإفريقي الثلاثة إلى ما قبل القرن(10هـ/16م)، ثم تعرض كل من المغربين الأوسط والأدنى للتأثيرات العثمانية والأوربية(3)، حيث خضع كل منهما للسيطرة العثمانية بينما أفلت المغرب الأقصى من قبضة الدولة العثمانية، لذلك يلاحظ أن التأثيرات العثمانية على العمارة والفنون بالمغرب الأقصى تكاد تكون منعدمة(4)، بينما استمر تأثير الفن الموريسكى المتأخر كما يتجلى في الفن الغرناطي على العمارة والفنون بالمغرب الأقصى في عصر الأشراف السعديين والعلويين من بعدهم(5).

وتبقى الإشارة إلى أن التعرف على التأثيرات الوافدة، والعوامل المؤثرة في تشكيل التراث المعماري والفني لقطر ما في مختلف مراحل تاريخه، يعد أمرًا ملحًا وضروريًا، لكونه يساعد على تفسير كثير من الظواهر الغامضة ويصل بالدراسات إلى نتائج أكثر دقة، لاسيما إذا اعتمدت هذه الدراسات على الأدلة والحقائق، ولم تَنْسَقْ وراء هوى أو تعصب.

ويُضاف إلى هذا البعد التأصيلى، بعدٌ آخر لا يقل أهمية عن سابقه يفسر كثيرًا من الظواهر في التراث المعماري والفني لمنطقة ما، ألا وهو البعد المقارن، الذي

---

(1) عثمان إسماعيل:طرز الفن الإسلامي في بلاد المغرب والأندلس، بحث نشر في مجلة دعوة الحق، العدد الثامن، السنة الثالثة، وزارة عموم الأوقاف، الرباط – المغرب، مايو 1960م، ص60.

(2) محمد رزوق: المرجع السابق، ص267؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس (نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين)، الجزء السابع، طبعة خاصة من مكتبة الخانجي لمكتبة الأسرة بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001م، الجزء السابع، ص ص310-311.

(3) إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص299.

(4) أندريه باكار: المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة، ترجمة د. سامي جرجس، دار أنوليه 74 للنشر، 1981م، المجلد الأول، ص59.

(5) محمد أبو رحاب: العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين- دراسة آثارية معمارية، دار القاهرة، القاهرة، 2008م، ص537.

يهدف إلى إبراز أوجه الشبه والاختلاف، وجوانب التميز والانفراد، ومحاولة تفسير هذه الجوانب، ومن هذا المنطلق تتضح أهمية هذه الدراسة التي تركز على مقارنة تصميم العمائر الدينية الحفصية والزيانية والمرينية ببلاد المغرب، لاسيما وأن هذه العمائر تعكس كثيرًا من أوجه الشبه والاختلاف في تصميمها، بالرغم من وجود قاسم مشترك بين الدول التي شيدتها، بصفتها تقاسمت ممتلكات الدولة الموحدية ببلاد المغرب، فضلاً عن الجوار والعلاقات والتأثيرات المتبادلة بينها نتيجة لهذا الجوار، إلى جانب وحدة المذهب، وخضوعها لنفس العوامل البيئية والمناخية.

فما زالت بلاد المغرب تحتفظ بكثير من العمائر الدينية من مساجد جامعة ومساجد فروض ومدارس، ترجع إلى العصر الحفصى بالمغرب الأدنى والزيانى بالمغرب الأوسط والمرينى بالمغرب الأقصى، وقد كثرت الدراسات الآثارية الجادة التي عرضت لهذه العمائر، في إطار دراسات وصفية وتحليلية معمارية وزخرفية(1)، في حين لم يسلط الضوء على البعد التصميمي المقارن لهذه العمائر، لتكتمل المعرفة بأنماط تصميم هذه العمائر الدينية ببلاد المغرب، في تلك الفترة المهمة من تاريخها الإسلامى، وهو ما نهدف إلى إبرازه في هذه الدراسة.

---

(1) منها على سبيل المثال دراسة كل من: عبد العزيز الدولاتلي: مدينة تونس في العهد الحفصي، ترجمة محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي، دار سراس للنشر، تونس، 1981م؛ لمياء حده: الزخرفة المعمارية الحفصية – دراسة في تاريخ الفن الإسلامي بإفريقية، نابولي- إيطاليا،2004م؛ عبد العزيز لعرج: مدينة المنصورة المرينية بتلمسان – دراسة تاريخية أثرية في عمرانها وعمارتها وفنونها، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006م؛ محمد أبو رحاب: المدارس المغربية في العصر المريني- دراسة آثارية معمارية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2011م؛ عامر حسن أحمد عجلان: المساجد الجامعة بمدينة تونس في العصر الحفصى(626-982هـ/1227-1574م)-دراسة آثارية معمارية، رسالة ماجستير، قسم الآثار، كلية الآداب – جامعة سوهاج، 2011م؛
Bourouiba, R., L'Art Religieux Musulman en Algérie، Algeri، S. N. E. D.، 1983.

2. الدراسة الآثارية المقارنة:

1.2 تصميم العمائرالدينية الموحدية:

1.1.2 المساجد:

يبدو منطقيًا قبل التعرض لدراسة أنماط تصميم العمائر الدينية الحفصية والزيانية والمرينية ببلاد المغرب، إلقاء الضوء على تصميم العمائر الدينية الموحدية ، للتعرف على سماتها وملامحها، لنتمكن من رصد أوجه الشبه والاختلاف بين هذه العمائر ومثيلاتها الحفصية والزيانية والمرينية اللاحقة عليها.

فعلى الرغم من أن حكم الموحدين شمل كل بلاد المغرب، فضلاً عما اشتهر به حكامهم من شغف واهتمام بالبناء والتعمير، فإن كلاً من المغربين الأدنى والأوسط لم ينل حظًا كبيرًا من اهتمام هؤلاء الحكام؛ لانشغالهم بالمغرب الأقصى والأندلس، يدل على ذلك عدم بقاء منشآت موحدية ذات قيمة معمارية بالمغربين الأدنى والأوسط قياسًا بالمغرب الأقصى(1)، فرغم اندثار بعض مساجد الموحدين بالمغرب الأقصى كجامع الكتبية الأول بمراكش(شكل1)، وجامع حسان بالرباط(شكل2)، فقد وصلتنا مجموعة رائعة من مساجدهم يمكن من خلالها التعرف على خصائصها وملامحها المعمارية، وهى جامع تينملل(شكل3)، وجامع تازة – بعد تعرضه للزيادة المرينية- (شكل 4)، وجامع الكتبية الثاني بمراكش(شكل5)، وجامع المنصور بقصبة مراكش(شكل6)، وجامع الأندلس بفاس القديمة(شكل7)(2).

ويتضح مما سبق أن كل مدينة في العصر الموحدى اختصت بمسجد جامع واحد، باستثناء مراكش التي اشتملت على جامعين أحدهما بالقصبة، التي اعتبرها

---

(1) رشيد بورويبة والدكالي: المساجد في الجزائر، سلسلة الفن والثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة التاميرا، روتوبريس، مدريد - إسبانيا، 1970م، ص21.

(2) للاستزادة عن هذه المساجد انظر، محمد الكحلاوي: العمارة الإسلامية في الغرب الإسلامي- عمائر الموحدين الدينية في المغرب، دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراه، كلية الآثار- جامعة القاهرة، 1986م، ص ص 200-436.

الموحدون مدينة أخرى غير مراكش (المدينة الأم)(1)، لذلك فقد تميزت هذه المساجد – التي شيدت جميعها في القرن(6هـ/12م) – بضخامتها وكبر مساحتها، لكي تتسع لجمهور المصلين بهذه المدينة يوم الجمعة، حيث لم يكن يسمح آنذاك إلا بتشييد جامع واحد للخطبة في المدينة الواحدة، ثم سمح الفقهاء منذ القرن(7هـ/13م) بتعدد جوامع الخطبة في المصر الواحد، استجابة للمصلحة العامة، المتمثلة في توفير الظروف الملائمة للمصلين للقيام بفريضتهم، بعد أن ضاق الجامع الوحيد على جمهور المصلين المتزايد بزيادة الكثافة السكانية بالمدن الإسلامية(2)، وهذا يفسر الزيادات والتوسعات التي كانت تتعرض لها المساجد الجامعة في المدن الإسلامية المختلفة قبل القرن(7هـ/13م)، كالمسجد الجامع في البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان وقرطبة وفاس وغيرها(3)، لذلك فإن الزيادات والتوسعات في جامع الخطبة الوحيد بالمدينة، ثم تعدد جوامع الخطبة في المدينة الواحدة - بعد السماح بذلك- يأتي على رأس أهم العناصر التي يمكن الاستدلال بها على إبراز ظاهرة النمو العمراني في المدينة الإسلامية.

وبخلاف جامع حسان بالرباط وجامع تازة(الشكلان2،4)، يلاحظ من خلال مخططات المساجد الموحدية الأخرى الباقية أنها تشغل مساحات مستطيلة، أكثر اتساعًا منها عمقًا(4)، أي أن المحراب يتوسط أحد الضلعين الطويلين للمسجد(الأشكال1،3،5،6،7)، وقد تميز رواق القبلة في هذه المساجد بكثرة عدد بلاطاته، التي وزعت في مساحات مستطيلة أيضًا أكثر اتساعًا منها عمقًا، في حين شغل الصحن مساحة مستطيلة صغيرة – إلى حد كبير – إذا ما قورنت بالمساحة

---

(1) الدولاتلى: المرجع السابق، ص123.

(2) الونشريسى (أحمد بن يحيى، ت 914هـ/1509م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، د.ت، الجزء السابع، ص483؛ عبد العزيز الدولاتلي: المرجع السابق، ص122؛ محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999م، ص238.

(3) محمد عبد الستار عثمان: نفس المرجع، ص237.

(4) Basset, H., et Terrasse, H., Sanctuaires et Fortersses Al Mohades, Hespéris, Tome VII, Librairie Larose, Paris, 1927, p. 308; Maslow, B., Les Mosquées de Fès et du Nord du Maroc, Les Éditions d'Art et d'Histoire, Paris, 1934, p. XII.

التي يشغلها رواق القبلة، ويرجع ذلك إلى تعدد بلاطات الأروقة الجانبية المحيطة بصحون المساجد الموحدية(1)، وذلك – فيما يبدو – لزيادة المساحة المسقوفة بالجامع لتتسع لأكبر عدد من المصلين، وحمايتهم من شمس الصيف، ومطر وبرد الشتاء، لاسيما وأن كل مسجد منها كان يمثل جامع الخطبة الوحيد بالمدينة، كما سبقت الإشارة.

أما جامع حسان بالرباط وجامع تازة(الشكلان4،2)، فيلاحظ أن كلاً منهما يشغل مساحة مستطيلة أكثر عمقًا منها اتساعًا- كتخطيط جامع سيدي عقبة بالقيروان-، أي أن المحراب لم يعد يتوسط أحد الضلعين الطويلين للمسجد، كباقي المساجد الموحدية السابق الإشارة إليها، وكذلك جامع القرويين بفاس أقدم المساجد القائمة بالمغرب الأقصى، والذي تجسد عمارته وتخطيطه ثلاثة عصور هي الإدريسي والزناتى والمرابطى(شكل8).

وقد تميزت بعض المساجد الموحدية بتعدد صحونها، كجامع المنصور بقصبة مراكش الذي اشتمل تخطيطه الأصلى على خمسة صحون(شكل6)، وجامع حسان بالرباط الذي تضمن ثلاثة صحون(2)(شكل2)، وهما يعدا أقدم النماذج الباقية التي شوهدت فيها هذه الظاهرة ببلاد المغرب، لاسيما وقد تباينت آراء الباحثين حول جامع المهدية بتونس(305هـ/935م) الذي اشتمل على ثلاثة صحون، فبينما ذكر البعض أن هذه الصحون من عصر الإنشاء، ومن ثم يعد النموذج الأول من نوعه الذي تضمن تخطيطه صحون متعددة بالمساجد المغربية(3)، ذكر بعضهم الآخر أن جامع المهدية كان في الأصل يتبع التخطيط التقليدي للمساجد الجامعة

---

(1) . Basset, H., et Terrasse, H., Op. Cit., p. 308; Maslow, B., Op. Cit., p. XII.

(2) محمد الكحلاوي: المرجع السابق، ص398.

(3) Marçais, G., L'Architecture Musulmane d"occident Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile, Paris, 1954, p70 ؛ محمد الكحلاوى: السمات المعمارية بين مساجد دهلى ومساجد الغرب الإسلامي، بحث نشر في كتاب ندوة الآثار الإسلامية في شرق العالم الإسلامي، كلية الآثار – جامعة القاهرة، 1998م، ص52.

المكون من صحن أوسط محاط بالأروقة، ولم يتغير هذا التخطيط إلا في العصر العثماني حيث أضيفت إليه صحون جانبيه(1).

وعلى أية حال، فقد غطيت المساجد الموحدية بأسقف خشبية جملونية الشكل، وغطى السطح من الخارج بحطات من القرميد المزجج – في الغالب – باللون الأخضر، وتأخذ هذه الأسطح من الخارج نفس امتداد بلاطات الأروقة من الداخل، سواء أكانت هذه البلاطات عمودية أم موازية لجدار القبلة.

وقد امتازت بعض مآذن المساجد الموحدية، كمئذنة جامع حسان بالرباط ومئذنة جامع الكتبية الثاني بمراكش، وكذلك مئذنة جامع إشبيلية بالأندلس، بارتفاعها وضخامة أبعادها، إذ يبلغ طول ضلع القاعدة المربعة لمئذنة حسان 16م، ويبلغ ارتفاعها الحالي – بعد سقوط الأجزاء العلوية التي كانت تكملها -44م، وقدر بعض الباحثين ارتفاعها الكلى بنحو 81م(2)، قياسًا على النسب التي سارت عليها المآذن الموحدية وهى(4:1)، أي أن ارتفاع المئذنة بدون الجوسق يبلغ أربع أضعاف عرض قاعدتها، كما هو الحال في مئذنة الكتبية بمراكش-على سبيل المثال- التي يبلغ عرض قاعدتها 12.50م، وارتفاعها الكلي 67.50م(3)، كما تتميز هذه المآذن بأنه يصعد إليها بـ(مرقاة) أو ممشى صاعد وليس بدرج كما جرت العادة في المآذن الأخرى(4)؛ ربما كان الهدف منه رفع مواد البناء من أحجار وغيرها على ظهور الدواب بسهولة كلما ارتفع بناء المئذنة(5)، كما أن هذا الممشى الصاعد يسهل مهمة المؤذن الذي ربما يكون متقدمًا في السن، ويضطر لاستخدام دابة للوصول إلى

---

(1) عبد العزيز الدولاتلي: المرجع السابق، ح498 ص ص173-174؛
Lézine,A.,Mahdiya,Recherches d'Archaéologie Islamique,Paris,1965,P.97

(2) Caillé, J., Le Mosquée de Hassan a Rabat, Paris, 1945, pp. 95, 149

(3) صالح بن قربة: المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 68.

(4) صالح بن قربة: المرجع نفسه، ص 52؛ محمد الكحلاوي: المرجع السابق، ص 233.

(5) عبد الرحمن فهمي: حول مئذنة من روائع الفنون الإسلامية، بحث نشر في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، جامعة الملك عبد العزيز، السنة الثالثة، العدد الثالث، 1398هـ، ص 189.

أعلى المئذنة(1)، لاسيما وأن هذه المآذن تميزت بارتفاعها الشديد كما سبقت الإشارة، ولعل اتساع هذا الممشى وارتفاع سقفه يجعله ملائمًا لهذه الوظيفة، إذ يبلغ اتساع ممشى مئذنة الكتبية 1.30م، وارتفاع سقفه 3.65م(2)، واتساع ممشى مئذنة حسان نحو 2م(3)، وقد وردت كثير من الإشارات التاريخية التي تفيد الصعود إلى قمم هذه المآذن على ظهر الدواب، عبر الممشى الصاعد الذي بداخلها(4).

وعلى طول هذه المرقاة أو الممشى الصاعد يوجد بالبدن المركزي للمئذنة عدة غرف متطابقة، بلغ عددها ستًا أو سبع غرف، غطيت كل منها بقبة أو بأقبية متقاطعة(5)، وإن كان لا يعرف على وجه التحديد سبب بناء هذه الغرف، إلا أنه يمكن القول أنها شيدت ليستخدمها أهل الزهد والورع والمتصوفة كخلوات ينقطعون فيها للعبادة، لاسيما وأن انقطاع الزهاد بالمآذن ظاهرة قديمة عرفها الغرب الإسلامى منذ عصر الدولة الأموية بالأندلس(6)، كما عرفت أيضًا بالمشرق منذ فترة مبكرة من العصر الإسلامي(7).

---

(1) عبد العاطى الورفلى: أوراق أندلسية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 1990م، ص39.

(2) محمد الكحلاوي: المرجع السابق، ص 233.

(3) عبد الرحمن فهمي: المرجع السابق، ص 189.

(4) ابن مرزوق: (أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني، ت: 781هـ/ 1380م): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق د. ماريا خيسوس بيغيرا، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص 402؛ مارمول (كربخال، أواخر القرن 10هـ/ 16م): إفريقيا، ترجمة: د. محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع المعارف الجديدة، 1988- 1989، ج2، ص ص54، 130.

(5) عبد الرحمن فهمي :المرجع السابق، ص189؛ محمد الكحلاوي: المرجع السابق، ص ص 233، 442.

(6) المراكشي(عبد الواحد، كان حيًا في النصف الأول من القرن 7هـ/ 13م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة 1994م، ص 30.

(7) ابن جبير(أبو الحسين محمد بن أحمد الأندلسي البلنسي، ت: 614هـ/ 1217م): تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار المعروفة برحلة ابن جبير، دار صادر- دار بيروت للطباعة والنشر، 1964م، ص 187؛ محمد الكحلاوي: المرجع السابق، ص 437.

2.1.2 المدارس:

وإلى جانب هذه المجموعة الرائعة من المساجد، شيد الموحدون نوعيةً مهمةً من نوعيات العمائر الدينية هي المدارس، إذ يُعد الموحدون أول من شيدوا المدارس بالغرب الإسلامي، وذلك منذ عهد أول خلفائهم عبد المؤمن بن على(524-558هـ/1130-1163م)، وفقًا لما أشارت إليه المصادر التاريخية والوثائقية(1)، وإذا كان لم يصلنا شيء من هذه المدارس يمكن من خلاله معرفة تخطيطها المعماري، فإنه يمكن أن نستشف من الوصف المعماري لمدرسة جامع المنصور الموحدية بقصبة مراكش، الذي زودنا به ليون الإفريقي وأكده مارمول(10هـ/16م)، أن هذه المدرسة كانت تتكون من صحن مكشوف، تتوسطه فسقية أو صهريج من الحجر، أو الرخام، وأنها كانت تشتمل على قاعة لعقد الدروس في الدور الأرضي، ويفهم من هذا أن عمارة المدرسة كانت تشتمل على أكثر من طابق، كما أنها كانت تضم مجموعة من الحجرات والغرف، كانت تطل على الصحن الأوسط المكشوف، وتتقدمها ممرات أو أروقة مسقوفة(2)، ولا يستبعد أن يكون تخطيط هذه المدرسة

---

(1) ابن القطان(أبى محمد حسن بن على بن محمد بن عبد الملك، توفى منتصف القرن 7هـ/13م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق د. محمود على مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1990م، ص ص 173-174؛ ابن أبى زرع(على بن عبد الله الفاسى، ت 741هـ/1340م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 217؛ ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى، ت749هـ/1348م): وصف المغرب أيام السلطان أبى الحسن المرينى، مقتبس من "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، نشر وتحقيق محمد المنونى، مجلة البحث العلمي، العدد الأول، السنة الأولى، الرباط، يناير- ابريل 1964م، ص؛133 الأنصاري(محمد بن القاسم بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الملك السبتى، كان حياً عام 825هـ/1422م): اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1969م، ص 23؛ الناصري(أبو العباس أحمد بن خالد السلاوى، ت1315هـ/1897م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م ، جـ2، ص195؛ محمد المنونى: حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1989م ، ص ص 203،17-205؛ محمد الكحلاوى: المدارس المغربية دراسة أثرية معمارية، مجلة العصور، المجلد السادس، الجزء الأول، دار المريخ للنشر، لندن، يناير 1991م، ص75.

(2) ليون الإفريقي(الحسن بن محمد الوزان، تُوُفِّيَ بعد 957هـ / 1550): وصف إفريقيا، ط2، ترجمة د. محمد حجي، ود. محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1983م، ط2، 1983م،جـ1، ص ص131-132؛ مارمول: المصدر السابق، جـ2، ص49؛ محمد الكحلاوى: عمائر الموحدين الدينية، ص ص129-130.

التي ظلت قائمة حتى القرن(10هـ/16م) – على أقل تقدير- كان بمثابة مصدر الإيحاء لتخطيط المدارس المرينية والحفصية والزيانية اللاحقة عليها.

وعلى أية حالٍ، فقد وضح من العرض السابق لمساجد الموحدين الباقية أن كل مدينة اختصت ببناء جامع واحد للخطبة، وفقًا لآراء الفقهاء التي لم تكن تسمح بتعدد جوامع الخطبة بالمدينة الواحدة آنذاك، وقد انعكس ذلك على مساحة المسجد لتتسع لجمهور المصلين بكل مدينة، ونظرًا لأن بناء مساجد لها هذه المواصفات كان يتطلب إمكانات مادية خاصة، نجد أن بناء المساجد الموحدية – وغيرها من المساجد الجامعة المبكرة – اقتصر في ضوء الروايات التاريخية والكتابات المنقوشة بجدرانها على الحكام دون غيرهم.

2.2 تصميم العمائر الدينية الحفصية بالمغرب الأدنى:

1.2.2 المساجد:

غير أن هذا الوضع لم يستمر في عصر الدول التي تقاسمت ممتلكات الدولة الموحدية ببلاد المغرب، وهم الحفصيون بالمغرب الأدنى(626هـ/1227م)، والزيانيون بالمغرب الأوسط(633هـ/1235م)، والمرينيون بالمغرب الأقصى(668هـ/1269م)، فقد ترتب على سماح الفقهاء بتعدد جوامع الخطبة بالمدينة الواحدة منذ القرن(7هـ/13م) كما سبقت الإشارة، أن تركز بناء المساجد – في الغالب – في عصر حكام تلك الدول على عاصمة البلاد، وهى تونس وتلمسان وفاس، التي شهدت آنذاك ازدهارًا اقتصاديًا وعمرانيًا وسياسيًا كبيرًا، وزادت - تبعًا لذلك - كثافتها السكانية عن أي وقت مضى.

وقد انعكس ذلك على صغر المساحة التي شغلتها هذه المساجد بشكل ملحوظ إذا ما قورنت بالمساجد الموحدية السابقة عليها، كما يتضح من الجدول رقم(1) الذي يعرض-على سبيل المثال- لمساحات المساجد الموحدية والحفصية:

العصر	المسجـد	المساحة م2
الموحدي	تينملل (شكل 3)	2373
	الكتبية الأول المندثر بمراكش (شكل1)	6864
	الكتبية الثاني بمراكش (شكل 5)	7592
	المنصور بقصبة مراكش (شكل 6)	6205[1]
	حسان بالرباط (شكل 2)	25200[2]
الحفصى	جامع القصبة (شكل 9)	3465
	جامع الهواء (شكل 10)	2333
	جامع باب البحر (شكل 11)	1317
	جامع البرج(شكل 12)	3117
	جامع الحلق(شكل 13)	1151
	جامع باب الأقواس(شكل 14)	583
	جامع المرجانى(شكل 15)	1250
	جامع باب الجزيرة(شكل 16)	1669[3]

ويتضح من هذا الجدول أن المساحة الكلية التي يشغلها كل ما تبقى من مساجد حفصية بتونس بلغت نحو14.942م2، أي أنها مجتمعة تبلغ نحو ضعف مساحة

---

[1] محمد الكحلاوى: المرجع نفسه، ص ص373،276،273.

[2] حسين مؤنس: المساجد، سلسلة عالم المعرفة، العدد 37، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1981، ص224.

[3] عامر عجلان: المرجع السابق، ص114.

جامع الكتبية الثاني بمراكش(7.592م2)، وتزيد قليلاً عن نصف جامع حسان بالرباط الذي تبلغ مساحته الكلية(25.200م2)؛ مما يشير إلى أن هذه المساجد الجامعة صارت ذات طابع نطاقي محدود، وشيدت في أماكن متفرقة بعيدة عن الجامع القديم، في الأحياء المكتظة بالسكان تلبية لحاجة هذا النمو السكاني في تأدية فريضة الجمعة في ظروف ملائمة، وللسبب ذاته حولت بعض مساجد الفروض الحفصية والزيانية والمرينية إلى جوامع للخطبة، كما هو الحال في مسجد سيدي يحيى السليماني بتونس الذي حول إلى جامع للخطبة عام(747هـ/1346م)، ومسجد الحلق بذات المدينة الذي حول إلى جامع للخطبة عام(797هـ/1395م)، كذلك حول مسجد سيدي جعفر بتونس أيضًا إلى جامع للخطبة عام(855هـ/1451م)(1)، وقد تبع ذلك تراجع – وربما انعدام - تأثير المسجد الجامع في تخطيط شوارع المدينة، بعد أن كان النواة الأساسية في تخطيطها، وإليه تنتهي شوارعها وسككها وأزقتها؛ ليكون قريبًا من كل موضع، فيسهل التوصل إليه من أطراف المدينة المختلفة للصلاة الجامعة(2).

فضلاً عن ذلك لم يعد إنشاء المساجد الجامعة قاصرًا على فئة الحكام فقط كما هو الحال في العصر الموحدى، بل شاركهم في ذلك كبار رجال الدولة والأمراء والعلماء والفقهاء والشيوخ والميسورون من العامة والنساء أيضًا، كجامع الهواء الذي شيدته الأميرة عطف زوجة السلطان أبى زكريا الحفصى بتونس عام(650هـ/1252م) (3)، والجامع الذي شيده الأمير الثائر ابن أبى عمارة المسيلى بذات المدينة(4)، كما شيد بعض الشيوخ والعلماء عددًا من المساجد بتونس

---

(1) الدولاتلى: المرجع السابق، ص 126؛ أحمد الطويلى: مراكز الثقافة والعلم بمدينة تونس في العهد الحفصى، تونس، 2000م، ص 29؛ عامر عجلان: المرجع السابق، ص ص126-128.

(2) محمد عبد الستار: المرجع السابق، ص ص234-238 .

(3) الدولاتلى: المرجع السابق، ص 172؛ أحمد الطويلى: المرجع السابق، ص 24؛ عامر عجلان: المرجع السابق، ص 123.

(4) الدولاتلى: المرجع السابق، ص 124؛ أحمد الطويلى: المرجع السابق، ص 25.

أيضًا، كالشيخ أبى محمد المرجانى والشيخ أبى عبد الله المغربي(1)، والمسجد الذي شيده الحاجب عبد الله الطريفى بفاس الجديد عام(810هـ/1408م)(2)، وغيرها.

ونخلص مما سبق، أن السماح بتعدد جوامع الخطبة في المدينة الواحدة منذ القرن(7هـ/13م)، إلى حد تحويل كثير من مساجد الفروض إلى جوامع للخطبة؛ لتوفير الظروف الملائمة للمصلين للقيام بفريضتهم، أفرز ببلاد المغرب في الفترة موضوع البحث، مساجد تميزت بصغر مساحتها، وتنوع تخطيطاتها، وعدم التزامها بالتخطيط التقليدي للمساجد الجامعة، والذي اتبعته المساجد الجامعة المغربية السابقة في الإنشاء على القرن(7هـ/13م)، كما لا يستبعد أن يكون لتنوع الفئات المشيدة لهذه المساجد، ما بين الميسورين والعلماء والشيوخ والنساء، أثره على تنوع تخطيطات هذه المساجد وصغر مساحتها أيضًا.

إذ تكشف المساقط الأفقية للمساجد الجامعة الحفصية الباقية بتونس، أنها لا تتبع التخطيط التقليدي المتعارف عليه للمساجد الجامعة السابقة عليها، سواء بالمغرب الأدنى كجامع القيروان(الشكلان17-18)، وجامع الزيتونة(شكل19)، أو المساجد المرابطية الثلاث بالمغرب الأوسط، وهى الجامع الكبير بتلمسان وجامع ندرومة وجامع الجزائر(3)، وجامع القرويين بفاس القديمة(شكل8)، وكل المساجد الموحدية السابق الإشارة إليها بالمغرب الأقصى(الأشكال1-7)، والمكون – في الغالب – من صحن أوسط مكشوف محاط بأربعة أروقة، أكبرها وأعمقها رواق القبلة.

فعلى الرغم من أن المساجد الحفصية الباقية تعرضت بعد عصر الإنشاء – باستثناء جامع القصبة - لكثير من أعمال الهدم والتجديد(4)، كما أن بعضها شيد في الأساس كمسجد فروض ثم تحول إلى جامع للخطبة كما سبقت الإشارة، فإن

---

(1) الدولاتلى: المرجع السابق، ص 125 ؛ الطويلى: المرجع السابق، ص 25-26؛ عامر عجلان: المرجع السابق، ص 125-126.

(2) محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000م، ص53؛ Bel, A., Inscriptions Arabes de Fès, Paris, 1918,P.63.

(3) Bourouiba, R.,Op.Cit., PP.126-133

(4) الدولاتلى: المرجع السابق، ص 150.

التخطيط العام لهذه المساجد عبارة عن مساحة مستطيلة اتساعها - في الغالب – أكثر من عمقها، تعرف وفقًا للاصطلاح المحلى بـ"بيت الصلاة"(1)، يتوسط جدارها الجنوبي حنية محراب مجوف، وقسمت هذه المساحة إلى بلاطات بعضها عمودية على جدار القبلة، وأخرى موازية لهذا الجدار، تعرف محليًا بالأروقة(2)، ومن ثم لم يعد هناك وجود للصحن التقليدي المكشوف بداخل هذه المساجد.

ويتمثل ذلك في جامع القصبة بتونس(629- 633هـ/ 1232- 1235م)(شكل9)، والذي رجح بعض الباحثين أنه كان يشتمل على صحن يتقدم الواجهة الشمالية لبيت الصلاة، نظرًا لاشتمالها على حنية محراب(3)(شكل9)، وجامع الهواء بتونس الذي يعرف أيضًا بجامع التوفيق(650هـ/1252م)، والذي يلاحظ أنه محاط من جهاته الشمالية والشرقية والغربية بفناء مكشوف(4)(شكل10)، وجامع باب البحر أو الزرارعية بتونس عام(682هـ/1283م)، الذي شيدت إلى جواره وحدات معمارية حديثة تضم ميضأة وكتاب ومساحات خضراء مكشوفة(5)(شكل11)، وجامع سيدي يحيى السليماني بذات المدينة المعروف بجامع البرج، وقد شيده الشيخ يحيى المذكور كمسجد فروض، ثم حوله السلطان أبو عمر حفص الثاني إلى جامع للخطبة عام(747هـ/1346م)، وقد جدد حديثًا وزيد في مساحته وأضيف له مدخلان جانبيان، وهو يضم ست بلاطات موازية لجدار القبلة(6)(شكل12)، وجامع الحلق الذي شيد في عهد السلطان أبي عمر الأول(683- 694هـ/ 1284- 1295م) كمسجد فروض، ثم حول إلى جامع للخطبة في فترة غير محددة، رجح بعض الباحثين أن تكون بين عام(855هـ/1451م) وأواخر العصر الحفصى(7)، وهو يشغل

---

(1) الدولاتلى: نفس المرجع، ص 152.

(2) الدولاتلى: نفس المرجع، ص 154.

(3) الدولاتلى: نفس المرجع، ص 152؛ رشيد بورويبة: الطراز الموحدى ومشتقاته- الحفصى، المرينى، الزيانى والنصرى، بحث نشر في كتاب الفن العربي الإسلامي، الجزء الثاني – العمارة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس، 1995م، ص ص228-229.

(4) الدولاتلى: المرجع السابق، ص124؛ عامر عجلان: المرجع السابق، ص 165.

(5) الدولاتلى: المرجع السابق، ص124؛ عامر عجلان: المرجع السابق، ص ص 174-175.

(6) الدولاتلى: المرجع السابق، ص126؛ عامر عجلان: المرجع السابق، ص 211.

(7) الدولاتلى: المرجع السابق، ص127؛ عامر عجلان: المرجع السابق، ص 223.

مساحة مستطيلة تشتمل على سبع بلاطات عمودية على جدار القبلة، ويحيط بالجامع من ثلاث جهات، هي الشمالية والشرقية والغربية فناء مكشوف على هيئة حرف"U" (شكل13)، وجامع باب الأقواس المعروف أيضًا بجامع النفافتة، والذي شيد في أول الأمر كمسجد فروض ثم حوله السلطان أبو عمرو عثمان الحفصى إلى جامع للخطبة عام(855هـ/1451م)، وهو يشغل مساحة مربعة تشتمل على خمس بلاطات موازية لجدار القبلة، وخمس بلاطات أخرى عمودية على هذا الجدار، وتطل واجهته الشمالية على فناء مكشوف(1)(شكل14).

وقد ذكر أحد الباحثين أن بعض المساجد الحفصية اتبعت التخطيط التقليدي للمساجد الجامعة، المكون من الصحن المحاط بالأروقة، حيث ظهر هذا التخطيط في جامعي أبى محمد المرجانى(683- 694هـ/ 1284- 1295م)، الذي يتكون من صحن أوسط محاط بأربعة أروقة(شكل15)، وجامع باب الجزيرة البرانى(683-689هـ/ 1284- 1290م)، وتخطيطه عبارة عن صحن في الوسط محاط برواقين أحدهما جنوبي وآخر شمالي(2)(شكل16).

والواقع أن الجامع الأول المعروف بجامع أبى محمد المرجانى خرب تمامًا على يد الإسبان بعد احتلالهم لتونس(3)، وأعيد بناؤه بالكامل بعد تداعى سقفه، وتعرض بعد ذلك لكثير من التجديدات كان آخرها في ستينيات القرن الماضي(4)، وفى ضوء انعدام الأدلة الوثائقية والتاريخية التي تشير إلى تخطيط وشكل الجامع القديم، يصعب القطع بأن الجامع الجديد جاء مطابقًا للتخطيط الأصلي للجامع القديم.

أما جامع الجزيرة البرانى، فقد أشارت الروايات التاريخية إلى وجود مسجد صغير كان في موضع هذا الجامع يعرف بمسجد أبى عبد الله المغربي، ثم أضاف إليه هذا الأخير مسجدًا آخر محاذيًا له(5)، فربما كان كل رواق من الرواقين القائمين حاليًا

---

(1) الدولاتلى: المرجع السابق، ص126؛ عامر عجلان: المرجع السابق، ص 235.
(2) عامر عجلان: المرجع نفسه، ص 110.
(3) الدولاتلى: المرجع السابق، ص 96.
(4) عامر عجلان: المرجع السابق، ص 186.
(5) الدولاتلى: المرجع السابق، ص 125.

حول الصحن الأوسط، يمثل مسجدًا مستقلاً بذاته ثم تم الجمع بينهما من خلال بناء الجدارين الشرقي والغربي(شكل16)، لاسيما وأن هذا الجامع تعرض لكثير من التجديدات بعضها في العصر العثماني عام(1041هـ/1631-1632م)، وبعضها الآخر حديث في سبعينيات القرن الماضي(1)، ومن ثم ربما لم يكن هذا التخطيط عمدًا، بل بسبب الإضافة.

ونظرًا لكون الصحن من أهم العناصر المعمارية التي تمد أروقة الصلاة وغيرها من الوحدات المعمارية التي يتضمنها الجامع بالضوء والهواء اللازم لها، من خلال انفتاح هذه الوحدات عليه، إلى جانب كونه عنصرًا رئيسًا من عناصر الاتصال والحركة، باستيعابه لحركة المصلين قبل الصلاة وبعدها بصفة خاصة حين ينصرف المصلون في وقت واحد، فقد عالج المعمار اختفاء الصحن المكشوف من المساجد الحفصية – فيما يبدو – بزيادة عدد أبواب هذه المساجد، رغم صغر مساحات هذه المساجد نسبيًا كما سبقت الإشارة، وتوزيعها – في الغالب – على الواجهات الأربع للجامع(الأشكال9-16)؛ ليسهل التوصل إلى داخل الجامع من أي نقطة وبأقرب مسافة، كما يتضح من جدول رقم(2).

المسجد	القصبة	الهواء	باب البحر	المرجاني	باب الجزيرة	البرج	الحلق	باب الأقواس
المساحة م2	3465	2333	1317	1250	1669	3117	1151	583
عدد الأبواب	7	9	6	6	10	4	4	5(2)

(1) عامر عجلان: المرجع السابق، ص 198.
(2) عامر عجلان: نفس المرجع، ص 301.

وعلى أية حالٍ، لم تختلف المساجد الحفصية عن مثيلاتها السابقة عليها في التخطيط فقط، وإنما اختلفت عنها أيضًا في أسلوب التغطية؛ ففي حين تميزت مساجد الغرب الإسلامى بتغطيتها بأسقف خشبية جملونية الشكل، كما هو الحال في جامع القيروان والزيتونة بتونس، وقرطبة، والقرويين والأندلس بفاس القديمة، ومساجد الموحدين في تينملل وتازة ومراكش والرباط وغيرها(1)، نجد أن بيوت الصلاة في المساجد الحفصية غطيت إما بأقبية متقاطعة كما هو الحال في جامع القصبة وجامع الهواء وجامع باب البحر وجامع المرجاني وجامع باب الأقواس، أو أقبية نصف أسطوانية (طولية) كما هو الحال في جامع باب الجزيرة البرانى وجامع الحلق وجامع سيدي يحي السليماني(2).

وقد كان لاستخدام كلا النوعين من هذه الأقبية أثره على تخطيط تلك المساجد، فالتي استخدمت فيها الأقبية المتقاطعة اشتمل تخطيطها على بلاطات عمودية على جدار القبلة تتقاطع معها أخرى موازية لهذا الجدار، وترتب على ذلك تقسيم مساحة بيت الصلاة إلى مساحات مربعة متساوية، غطى كل منها بقبو متقاطع، كما هو الحال في جامع القصبة، جامع الهواء، جامع باب البحر، وجامع باب الأقواس(الأشكال14،11،10،9)(اللوحتان2،1)، مع ملاحظة أن سطح المسجد من الخارج مسطح الشكل، يرتفع قليلاً في المنتصف ثم ينحدر قليلاً أيضًا إلى أسفل منتهيًا بميازيب؛ لتصريف مياه الأمطار عند سقوطها على هذه الأسقف المائلة إلى الشارع أو الفناء الذي يحيط بالمسجد(3)(لوحة3).

أما المساجد التي غطيت بأقبية نصف أسطوانية، فقد اشتمل تخطيطها على بلاطات إما عمودية على جدار القبلة أو موازية لهذا الجدار، كما هو الحال في جامع سيدي يحي السليماني، جامع الحلق، وجامع باب الجزيرة البرانى(الأشكال16،13،12)، ويلاحظ أن السطح من الخارج يأخذ نفس امتداد

---

(1) محمد أبو رحاب: العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ص506.

(2) عامر عجلان: المرجع السابق، ص285 .

(3) عامر عجلان: نفس المرجع، ص293.

السقف الذي يغطى البلاطات من الداخل، سواء أكانت هذه البلاطات عمودية أم موازية لجدار القبلة(لوحة4).

كما كان لنوعية التغطية المستخدمة بهذه المساجد الحفصية من أقبية متقاطعة ونصف أسطوانية، وما ينتج عنها من ثقل وأحمال على الجدران أثره في إنشاء حوائطها الحاملة؛ إذ وضعت لها أساسات متينة بلغ عمقها نحو1.20م، كما شيدت هذه الجدران من الحجر وحرص المعمار على زيادة سمكها، لدرجة أنه تجاوز في بعض المساجد المترين، بالإضافة إلى تدعيمها من الخارج بدعامات ساندة(1).

كذلك يظهر أثر استخدام هذه النوعية الثقيلة من التغطية سواء أكانت أقبية متقاطعة أم نصف أسطوانية، في تكثيف عدد الأعمدة في بيت الصلاة، وتقريب المسافات بين هذه الأعمدة وصفوفها؛ لتقوى على حمل هذه الأقبية التي تغطى المسافات بين صفوف الأعمدة(الأشكال9-16)، وقد ترتب على ذلك استقطاع جزءًا كبيرًا من المساحة المخصصة للصلاة بالمسجد، وهذا يشير إلى أثر مواد الإنشاء والتغطية، التي تمثل البعد الثالث للتصميم، على تخطيط المبنى وعناصره ووحداته المعمارية، ومن هنا تبرز أهمية الإنشاء كمحور أساسي في دراسة تاريخ العمارة, فإنشاء المبنى يحقق وجوده حتى إن أحد الباحثين يقرر أنه يمكن كتابة تاريخ العمارة كله من وجهة نظر الإنشاء، وبيان أن تطورها على مر العصور ما هو إلا نتيجة محاولات لحل مشكلة التسقيف (Roofing) أو التغطية (Covering)، وبيان أن الطرز المعمارية ناتجة عن المواد وأحسن أساليب الإنشاء المتيسرة في العصر الذي كانت فيه من حوائط حاملة وأكتاف وأعتاب حجرية وعروق خشبية وعقود وقباب وجملونات وغيرها(2).

ومن المعروف أن استخدام الأقبية الحجرية في التسقيف في هذه البلاد قد شاع منذ العصر الروماني، وتواصل استعمالها في العصر البيزنطي، واستمرت في العصر

---

(1) عامر عجلان: نفس المرجع، ص ص285-286.

(2) محمد عبد الستار: أضواء على أهمية الإنشاء في تاريخ العمارة الإسلامية, مجلة العصور, العدد الخامس, الجزء الثاني, دار المريخ للنشر, لندن, 1990, ص 2301.

الإسلامي، حيث نجدها قبل العصر الحفصى في مسجد رباط سوسة ومسجد بوفتاته بذات المدينة وفى المسجد الجامع بسوسة أيضًا، وكذلك في الأروقة الجانبية لجامع المهدية وفى جامع صفاقس(1).

كما استخدمت القباب في تغطية المساحة المربعة التي تتقدم محاريب بيوت الصلاة بالمساجد الحفصية، وهو تقليد قديم بالمغرب الأدنى نراه في أقدم مساجده وهو جامع القيروان، وقد ذكر بعض الباحثين أن أقدم مثال لهذه الظاهرة- في ظل النماذج القائمة – تلك القبة التي بالمسجد الأقصى، ولكن لم يكتب لهذه الظاهرة الشيوع في المشرق بقدر انتشارها ببلاد المغرب، فقد طبقت بعد جامع القيروان في كل المساجد الكبرى بالمغرب الأدنى، كجامع صفاقس وسوسة والزيتونة والمهدية، واستمرت بهذه البلاد حتى ظهور طراز الجوامع العثمانية، كما انتشرت لتشمل جل مساجد الغرب الإسلامى(2)، كما ظهرت في العصر الفاطمي بمصر على يد البنائين المغاربة الذين انتقلوا إلى القاهرة، حيث نراها في جامعي الأزهر والحاكم(3)، وربما كان السبب في انتشارها بالمساجد المغربية هو زيادة الفراغ الداخلي لرواق القبلة؛ مما يؤدى إلى وفرة الإضاءة والتهوية الجيدة، التي تتوافق مع الوظائف المختلفة التي كان يؤديها هذا الرواق، والتي تتمثل في الصلاة والتدريس، لاسيما وأن شدة البرودة ببلاد المغرب انعكس على قلة – أو انعدام – النوافذ الخارجية بواجهات مساجدها، باستثناء صف من نوافذ صغيرة بالقطاع العلوي لجدار القبلة، غشيت بستائر من الجص المفرغ في تشكيلات هندسية مختلفة، وعشقت – أحيانًا – بالزجاج الملون، الذي يسمح بمرور الضوء ولا يسمح بمرور تيارات الهواء.

---

(1) مراد الرماح: المرجع السابق، ص105؛ عفاف الهلالي: مدرسة الساحل المعمارية محدودية هذا المفهوم في دراسة المعالم الدينية بجهة الساحل، بحث نشر في كتاب ندوة القيروان وجهتها اكتشافات جديدة – مقاربات جديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس 2009م، ص170؛ عامر عجلان: المرجع السابق، ح2 ص293.

(2) مراد الرماح: المرجع السابق، ص125،111؛ عفاف الهلالي: المرجع السابق، ص170.

(3) مراد الرماح: المرجع السابق، ص125؛ ياسر إسماعيل: مدرسة القيروان المعمارية وأثرها في عمائر القاهرة الدينية حتى نهاية العصر المملوكي البحري، بحث نشر في كتاب ندوة القيروان وجهتها اكتشافات جديدة – مقاربات جديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس 2009م، ص 98.

2.2.2 المدارس:

وإلى جانب المساجد الحفصية السابق ذكرها، شيد الحفصيون كثيرًا من المدارس وبخاصة في عاصمتهم تونس ولا تزال بقاياها قائمة حتى الآن، وقد سبقت الإشارة إلى أن الموحدين هم أول من شيدوا المدارس بالمغرب، وليس الحفصيون كما أكد بعض الباحثين(1)، وكانت أول هذه المدارس تلك المدرسة المعروفة بالشماعية التي شيدها أبو زكريا الحفصى عام(647هـ/1249م)، ثم توالى إنشاء المدارس بعد ذلك حتى منتصف القرن(9هـ/15م)؛ حيث شيدت المدرسة المنتصرية عام(841هـ/1438م)، التي تعد آخر المدارس التي شيدت بالمغرب الأدنى في العصر الحفصى(2).

وعلى الرغم من ذلك فقد اندثر كثير من هذه المدارس، ولم يتبق منها إلا أربع مدارس فقط، هي المدرسة الشماعية(647هـ/1249م)(الشكلان20-21)، والمدرسة العنقية(742هـ/1341م)(شكل22)، ومدرسة ابن تافراكين(751-766هـ/1350-1364م)(شكل23)، وأخيرًا المدرسة المنتصرية(841هـ/1438م)(شكل24)(3)، مع ملاحظة أن هذه المدرسة الأخيرة تعد أكثر المدارس الحفصية احتفاظًا بعناصرها الأصلية، بينما أدخلت على المدارس الثلاث الأخرى السابق ذكرها تغييرات جذرية(4).

ومن حيث الشكل المعماري، تميزت المدارس الحفصية الباقية بتونس بصغر مساحتها؛ حيث تشغل المدرسة الشماعية – على سبيل المثال- مساحة كلية تبلغ 310م2، وتميزت أيضًا ببساطة تخطيطها المعماري، مقارنة بمثيلاتها بالمشرق أو حتى

---

(1) الدولاتلى: المرجع السابق, ص139؛
Marçais, G., Op.Cit., p.290-291; Golvin, L., Architecture Musulmane la Madrasa Médiévale, Edisud, 1995, pp. 195.

(2) عن هذه المدارس انظر، محمد الباجى بن مامى: مدارس مدينة تونس من العهد الحفصى إلى العهد الحسيني، المعهد الوطني للتراث، تونس 2006م، ص ص131-212.

(3) محمد الباجى بن مامى: المرجع السابق، ص ص131-212؛ Golvin, L. Op. Cit., pp 175-186.

(4) محمد الباجى بن مامى: المرجع السابق، ص 204.

بالمدارس المرينية بالمغرب الأقصى(1)، فهي تتكون من مستوى واحد هو الدور الأرضي، باستثناء المدرسة الشماعية التي تشتمل على مستويين؛ هما الدور الأرضي والطابق الأول، ويلاحظ أن كل مستوى منهما يشتمل على مسجد أو بيت للصلاة(2)(الشكلان21،20).

وعلى الرغم من ذلك فإن المدارس الحفصية الباقية لا تختلف كثيرًا عن غيرها من المدارس المعاصرة لها في الأقطار الإسلامية الأخرى، من حيث اشتمالها على الوحدات المعمارية التي تؤهلها للقيام بوظيفتها، مثل توفير أماكن للصلاة والدرس، ومساكن لإقامة الطلاب، تتقدمها – في الغالب – أروقة تفصلها عن الصحن، بالإضافة إلى المرافق الأخرى الخاصة بتخزين المياه، كالصهاريج (المواجل) والفساقي والميضآت(3).

مع الأخذ في الاعتبار أن التأثير المشرقي يبدو جليًا في تخطيط بعض المدارس الحفصية، كمدرسة ابن تافراكين(751-766هـ/1350-1364م)(شكل23)، التي ألحق بها ضريح لمنشئها كما هو الحال في كثير من مدارس المشرق(4)، بينما تخلو المدارس المرينية بالمغرب الأقصى وكذلك الزيانية – في ضوء الروايات التاريخية – من هذا

---

(1) محمد الباجي بن مامي: نفس المرجع، ص ص123،421.

(2) محمد الباجي بن مامي: نفس المرجع، ص 142. وقد رجح هذا الباحث أن مدرسة ابن تافراكين كانت مكونة من طابقين لوجود فتحات نافذة بالجزء العلوي للجدار الجنوبي، انظر محمد الباجي بن مامي: نفس المرجع ص 195.

(3) مع ملاحظة اختلاف توزيع وتخطيط هذه الوحدات على مخطط المدرسة من منطقة إلى أخرى، فيلاحظ أن مساكن الطلاب بالمدارس اليمنية – على سبيل المثال – تميزت ببساطة تخطيطها المعماري، حيث لا توجد الحجرات والغرف المستقلة لإقامة كل طالب والتي عرفتها المدارس الحفصية والزيانية والمرينية موضوع البحث، وإنما خصصت في بعض المدارس قاعات متسعة بالدور الأرضي لإقامة الطلاب، كما كانت في معظم المدارس قاعات الدرس هي ذاتها أماكن الارتفاق والإقامة، كما استخدم بيت الصلاة – أحيانًا – لإقامة الطلاب. انظر، محمد سيف النصر: نظرة عامة إلى المدارس اليمنية تخطيطاتها وعناصرها المعمارية، بحث نشر في مجلة الإكليل، السنة الثالثة، العدد الأول، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، 1985م، ص105- 106؛ مصطفى عبد الله شيحة: دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمنية، بحث نشر في كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، سلسلة تاريخ المصريين، العدد 51، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م، ص ص456-457.

(4) محمد الباجي بن مامي: نفس المرجع، ص 123.

الجزء الإضافي(1)، ويتضح السبب في ذلك إذا علمنا أن ابن تافراكين مؤسس هذه المدرسة استقر في الإسكندرية فيما بين(749-751هـ/1348-1350م)، وهناك تعرف على العادات والتقاليد المشرقية، ونقل بعضًا منها إلى مدينة تونس(2).

كذلك اتبعت بعض هذه المدارس في تخطيطها نظام الإيوان المفتوح على صحن مركزي، ذلك العنصر الشائع في المدارس المشرقية، وقد أكد كثير من الباحثين أن المدرسة المنتصرية(841هـ/1438م)(شكل24) هي النموذج الوحيد من بين المدارس الحفصية الباقية التي احتوى تخطيطها على عنصر الإيوان(3)، في حين ذكرت إحدى الدراسات أن عنصر الإيوان ظهر أيضًا بالإضافة إلى المدرسة المنتصرية في مدرستي الشماعية والعنقية السابقتين في الإنشاء على المدرسة المنتصرية، حيث تشتمل كل منهما على إيوانين(الشكلان22،20)، وأرجعت هذه الدراسة ظهور هذا العنصر في المدارس الحفصية إلى العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية الجيدة التي كانت قائمة بين الحفصيين والمماليك، وبخاصة في أواخر القرن(8هـ/14م)(4).

وعلى أية حال، تكشف المساقط الأفقية للمدارس الحفصية الباقية أنها تنقسم إلى نمطين رئيسين، الأول ويتمثل في ثلاث مدارس هي الشماعية والعنقية وابن تافراكين(الأشكال23،22،20)، تتكون من صحن مكشوف في الوسط بجهته الجنوبية المسجد أو بيت الصلاة، وهو عبارة عن قاعة مستطيلة، غطيت بقبو متقاطع، وبجدارها الجنوبي حنية محراب، ويحيط بالصحن من جهاته الأربع – وبجهة واحدة هي الجنوبية بمدرسة ابن تافراكين – رواق أو ممر مغطى يتقدم مساكن الطلاب، التي وزعت على الجهات الأربعة للصحن، أو على ثلاث جهات فقط

---

(1) السيد عبد العزيز سالم: مدارس فاس، بحث نشر في كتاب الشعب، عدد 78، بيوت الله مساجد ومعاهد، الجزء الثاني، مطابع الشعب، 1960م، ص202، محمد أبو رحاب: المدارس المغربية في العصر المريني، ص191؛ Bel, A., Op. Cit., p 92,

(2) محمد الباجي بن مامي: المرجع السابق، ص188.

(3) الدولاتلي: المرجع السابق، ص197؛ Marçais, G., Op. Cit., p299

(4) محمد الباجي بن مامي: المرجع السابق، ص ص 147،123،184 - 185.

هي الشمالية والشرقية والغربية، وتغطيها أقبية متقاطعة أو نصف أسطوانية، مع ملاحظة أن المدرسة الشماعية وزعت فيها مساكن الطلاب في طابقين، كما يشتمل طابقها الأول- كما سبقت الإشارة- على بيت آخر للصلاة غطى بسقف خشبي مسطح(الشكلان21،20)، وبكل من الجهتين الشرقية والغربية بمدرستي الشماعية والعنقية يوجد إيوان للدرس(الشكلان22،20)، بينما لا يمكن القطع باشتمال مدرسة ابن تافراكين على إيوانات، نظرًا لتدهور حالتها المعمارية(1)(شكل 23).

أما النمط الثاني للمدارس الحفصية، فيوجد منه نموذج واحد يتمثل في المدرسة المنتصرية(شكل24)، وتخطيطها عبارة عن صحن أوسط مكشوف غير محاط بأروقة، كمدارس النمط الأول السابق ذكرها، وبجهته الجنوبية يوجد المسجد أو بيت الصلاة، الذي يشغل مساحة مستطيلة عمقها أكثر من اتساعها تشتمل على ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة، وقد غطى بسقف خشبي مسطح، بخلاف مدارس النمط الأول، ويتوسط كل جهة من الجهات الجنوبية والشرقية والشمالية إيوان للدرس(شكل24)، وقد وزعت مساكن الطلاب على الواجهات الأربعة للصحن، وقد غطيت هذه الحجرات بأقبية متقاطعة أو نصف أسطوانية، كما يلاحظ وجود صحن صغير بالقطاع الجنوبي الغربي للمدرسة، على يمين بيت الصلاة، وزعت حوله خمس حجرات، ربما كانت تستخدم كسكن خاص بشيوخ المدرسة، ومن ثم فإن هذه المدرسة تشتمل على صحنين؛ مما يشير إلى وجود ظاهرة تعدد الصحون بالمنشآت الدينية الحفصية(شكل24)، وتعتبر النموذج الثاني للعمائر الدينية بالمغرب الأدنى التي تشتمل على هذه الظاهرة – في ظل النماذج القائمة – بعد جامع المهدية، وذلك إذا صح الرأي القائل بأن الصحون الثلاثة التي

(1) محمد الباجي بن مامي: نفس المرجع، ص ص 195،186،183،151،149،146.

يتضمنها تخطيط هذا الجامع، ترجع إلى عصر الإنشاء وليست إضافات لاحقة عليه، كما سبقت الإشارة.

3.2 تصميم العمائر الدينية الزيانية بالمغرب الأوسط:

1.3.2 المساجد:

أما فيما يتعلق بالعمائر الدينية الزيانية بالمغرب الأوسط، فقد شيد الزيانيون كثيرًا من المساجد والمدارس بهذه البلاد وبخاصة في عاصمتهم تلمسان، ولكن مما يؤسف له تعرض كثير من هذه المنشآت للهدم والاندثار، لاسيما في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، وعلى الرغم من ذلك مازالت تلمسان تحتفظ بعدد من المساجد الزيانية، تتمثل في مسجد سيدي بلحسن(696هـ/ 1296م)(شكل 25)، ومسجد أولاد الإمام(710هـ/ 1310م)(شكل 26)، ومسجد سيدي إبراهيم(765هـ/ 1354م)(1)(شكل27)، بينما حول الاحتلال الفرنسي جامع المشور إلى كنيسة، ولم يتبق من عمارته الزيانية إلا المئذنة(2).

وتتفق هذه المساجد الزيانية الباقية بتلمسان مع مثيلاتها الحفصية السابق ذكرها، في صغر المساحة التي تشغلها بشكل ملحوظ، وإن كانت المساجد الزيانية أقل مساحة، لكنها أكثر ثراء من مثيلاتها الحفصية من الناحية الزخرفية والفنية.

وتكشف المساقط الأفقية لهذه المساجد الزيانية أن تخطيطها المعماري ينقسم إلى نمطين رئيسيين؛ أحدهما عبارة عن مساحة مستطيلة يتوسط جدارها الجنوبي حنية محراب مجوف، وتنقسم هذه المساحة إلى ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة، كما هو الحال في مسجدي سيدي بلحسن وأولاد الإمام(الشكلان25،26)، دون وجود للصحن المكشوف بداخلهما(3)؛ مما يذكر بتخطيط المساجد الحفصية السابق الإشارة إليها، وإن كانت تختلف عن هذه الأخيرة في أسلوب التغطية؛ إذ

---

(1) Marçais, W., et G., Les Monuments Arabes de Tlemcen, Paris, 1903, pp. 170-171,185,302-303; Bourouiba, R., Op. Cit., p. 171.

(2) بورويبة: الطراز الموحدى ، ص232؛ Bourouiba,R., Op. Cit., p.171

(3) بورويبة: المرجع السابق، ص232.

غطي كل من مسجدي سيدي بلحسن وأولاد الإمام بسقف خشبي جملوني الشكل؛ ومن ثم لم تعد هناك حاجة لتكثيف عدد العناصر الإنشائية الحاملة- كما هو الحال بالمساجد الحفصية المغطاة بأقبية ثقيلة – لسلسلة العقود التي ترتكز عليها هذه النوعية الخفيفة من التغطية بكل من هذين المسجدين(الشكلان26،25)، ويأخذ السطح من الخارج نفس امتداد بلاطات المسجد من الداخل، وغطى بحطات من القرميد(لوحة5).

ويبدو أن كلاً من هذين المسجدين شيدا كمساجد فروض، لاسيما وأن الكتابات التأسيسية بالمسجد الأول تتضمن مصطلح "مسجد" ولم تشر إلى قيام هذه المنشأة بوظيفة المسجد الجامع(1).

أما النمط الآخر فيمثله مسجد سيدي إبراهيم(765هـ/ 1354م)(شكل27)، وهو يتبع التخطيط التقليدي للمساجد الجامعة، حيث يتكون تخطيطه من صحن أوسط مكشوف محاط بأربعة أروقة، أكبرها وأعمقها رواق القبلة، الذي يشتمل على بلاطة واحدة موازية لجدار القبلة(أسكوب) تتقدم المحراب مباشرة، تحصر بينها وبين بائكة رواق القبلة المطلة على الصحن خمس بلاطات عمودية على جدار القبلة، ويشتمل كل من الرواقين الشرقي والغربي على بلاطة واحدة عمودية على جدار القبلة، كذلك يشتمل الرواق الشمالي على بلاطة واحدة أيضًا لكنها موازية لجدار القبلة، وقد غطيت هذه الأروقة بأسقف خشبية جملونية الشكل، ويأخذ السطح من الخارج نفس امتداد بلاطات هذه الأروقة من الداخل، سواء أكانت هذه البلاطات عمودية أم موازية لجدار القبلة.

ويلاحظ أن تخطيط مسجد سيدي إبراهيم يتشابه تمامًا مع تخطيط مسجدي سيدي بومدين ببلدة العباد قرب تلمسان(739هـ/ 1339م)، وسيدي الحلوى

---

(1) بورويبة: نفس المرجع، ص235؛ عبد العزيز لعرج: جمالية الزخارف النباتية في الفن الإسلامي بجامعي تلمسان الكبير وسيدي بلحسن، بحث نشر في كتاب مؤتمر تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان – الجزائر 2011م، الجزء الأول، ص219؛ Bourouiba, Op. Cit., p. 184

بتلمسان(754هـ/ 1353م) المرينيين(الشكلان 28، 29)؛ مما يشير إلى تأثره بتخطيطهما، لاسيما وأنهما سابقان عليه في الإنشاء.

مع ملاحظة أن مسجد سيدي الحلوى تميز عن كلا المسجدين الآخرين، باستخدام أعمدة رخامية، إلى جانب الدعامات في حمل العقود التي يرتكز عليها سقف رواق القبلة(شكل29)؛ مما أضفى على هذا الرواق من الداخل مظهر الرشاقة، ووفر مساحة أكبر للمصلين، بينما استخدمت الدعامات فقط كعناصر حاملة ترتكز عليها العقود في المسجدين الآخرين(الشكلان28،27)، فلعل العامل الاقتصادي وعدم توفر مادة الرخام هو السبب في ذلك، ولا يستبعد أن يكون تغطية مسجد سيدي بومدين بسقف من الجص، وهي مادة أثقل نسبيًا من الخشب، قد فرض استخدام دعائم من الآجر أكثر قوة وثباتًا، من الأعمدة الرخامية كعناصر حاملة لهذا السقف.

2.3.2 المدارس:

وإلى جانب المساجد اهتم حكام الدولة الزيانية ببناء المدارس بالمغرب الأوسط وبخاصة عاصمتهم تلمسان، وتعد مدرسة أولاد الإمام بتلمسان التي شيدت على يد أبي حمو الأول الزياني عام(710هـ/ 1310م)، أول مدرسة شيدت بهذه البلاد، ثم شيدت بعد ذلك المدرسة التاشفينية فيما بين(718-737هـ/ 1318-1337م)، وشيدت بعد ذلك المدرسة اليعقوبية (765هـ/ 1364م)(1)، غير أن ما يؤسف له أن المعروف عن عمارة هذه المدارس لا يتعدى الروايات التاريخية؛ حيث تعرضت للهدم والاندثار، ولم يصلنا شيء من عمارتها يمكن من خلاله معرفة تخطيطها المعماري، وعلى الرغم من ذلك يمكن أن نستشف من خلال المسقط الأفقي الذي نفذه أحد المهندسين الفرنسيين للمدرسة التاشفينية قبل هدمها على يد الإدارة الفرنسية عام 1873م، أن هذه المدرسة كانت تتكون من صحن مكشوف في

---

(1) صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007م،ص ص142-152؛ Marçais,G., L'Architecture Musulmane d"occident, Op. Cit., pp 290-291; Golvin,L., Op. Cit., p.195.

الوسط، بجهته الجنوبية قاعة مستطيلة للصلاة والدرس بجدارها الجنوبي محراب مجوف، وبكل من الجهتين الغربية والشرقية رواق أو ممر مغطى يتقدم مساكن الطلاب، كما كانت تتوفر هذه المدرسة على مئذنة(1)، ويتفق هذا التخطيط إلى حدٍ كبير مع تخطيط مثيلاتها المريينة سواء التي بالمغرب الأقصى أو بتلمسان، كما أنها تتفق مع مدرستي الصفارين والبوعنانية المرينيتين بفاس القديمة في اشتمالها على مئذنة(2).

وعلى أية حالٍ، فإن مدرسة سيدي بومدين التي شيدها السلطان أبو الحسن المرينى ببلدة العباد بتلمسان عام(747هـ/ 1346م)، تعد أقدم مدرسة قائمة بالمغرب الأوسط، بل والوحيدة الباقية بهذه البلاد قبل الحكم العثماني(3).

4.2. العمائر الدينية المرينية:

1.4.2 المساجد المريينة بالمغرب الأقصى:

أما المرينيون فقد شيدوا بالمغرب الأقصى كثيرًا من المنشآت الدينية من مساجد جامعة ومساجد فروض ومدارس، وتفوق النماذج الباقية منها كل ما تبقى من منشآت الدول الأخرى التي حكمت المغرب الأقصى قبل العصر المرينى، كما شيد المرينيون أيضًا كثيرًا من العمائر الدينية بالمغرب الأوسط أثناء سيطرتهم على هذه البلاد، ومازالت هناك نماذج قائمة من هذه العمائر وبخاصة في مدينة تلمسان، ويتمثل ذلك في جامع مدينة المنصورة أو تلمسان الجديدة(700-702هـ/ 1301-1303م) (4)، وجامع ومدرسة سيدي بومدين ببلدة العباد اللذين شيدهما السلطان أبو الحسن على، حيث شيد الجامع عام(739هـ/ 1339م)، أما المدرسة

---

(1) صالح بن قربة وآخرون: المرجع السابق،ص ص148،146؛ Golvin,L., Op. Cit., pp.199-202

(2) محمد أبو رحاب: المرجع السابق، ص468 .

(3) رشيد بورويبة والدكالي: المرجع السابق، ص 37.

(4) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 387.

فشيدها عام(747هـ/ 1346م)(1)، وكذلك جامع سيدي الحلوى الذي شيده السلطان أبو عنان فارس عام(754هـ/ 1353م)(2).

وجدير بالذكر أن ما تبقى من العمائر الدينية المرينية يفوق كل ما تبقى من مثيلاتها الحفصية والزيانية مجتمعة، كذلك يلاحظ أن النشاط المعماري للمرينيين وبخاصة فيما يتعلق ببناء المساجد والمدارس، لم يتركز على عاصمتهم فاس فقط، كما هو الحال في تونس الحفصية وتلمسان الزيانية، إنما شمل مدن أخرى كفاس الجديد، وجدة، تازة، مراكش، مكناس، سلا وغيرها، وما زالت هذه المدن تحتفظ بكثير من المساجد والمدارس المرينية، كالمسجد الجامع بفاس الجديد(677هـ/ 1278م)(3)(شكل30)، وجامع الحمراء بذات المدينة الذي يرجح إنشاؤه عام(739هـ/ 1339م)(4)(شكل31)، والجامع الكبير بوجدة الذي شيده أبو يعقوب يوسف(696هـ/ 1296م) (5)، وجامع ابن صالح بمراكش، الذي يُرجح إنشاؤه فيما بين عامي(720- 722هـ/ 1320- 1322م)(6)(شكل32)، كما قاموا بعمل زيادات

---

(1) ابن مرزوق: المصدر السابق، ص ص 403- 404؛ عبد العزيز لعرج: مدينة المنصورة المرينية بتلمسان ، ص 69؛
Marçais, W., et G., Op. Cit., pp. 240- 265; Marçais, G., L'Architecture Musulmane d"occident, p. 276; Bourouiba, R., Op. Cit., p.252.

(2) ابن الحاج النميري(أبو القاسم برهان الدين بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد، توفي بعد 774هـ/ 1372م): فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة ونشر د. محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1990م، ص 488؛ عبد العزيز لعرج: المرجع السابق، ص 69؛ Marçais, G., Op. Cit., p. 278.

(3) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص162؛ الناصري: المصدر السابق، ج3، ص89. وقد ذكر بعض الباحثين المحدثين أن هذا المسجد شيد عام(674هـ/1275م)، انظر Maslow, B., Op. Cit., p.38; Marçais, G., Op. Cit., p. 268

(4) Marçais, G., Ibid., p. 277.

(5) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص385؛ وللاستزادة عن المساجد المرينية انظر محمد أبو رحاب: ملامح تخطيط العمائر الدينية المرينية بالمغرب الأقصى ومدينة تلمسان بالمغرب الأوسط – دراسة آثارية مقارنة، بحث نشر في كتاب مؤتمر تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان – الجزائر 2011م، الجزء الأول، ص ص 134- 0135

(6) محمد أبو رحاب: جامع ابن صالح المريني بمدينة مراكش – دراسة آثارية معمارية، كتاب المؤتمر الثالث عشر للاتحاد العام للآثاريين العرب، الندوة العلمية الثانية عشر، الجزء الثاني، طرابلس – الجماهيرية العربية الليبية 2010م، ص ص1587-1588.

مهمة ببعض المساجد السابقة على عصرهم، كمسجد شالة الزناتي(1)، وجامع تازة الموحدي(2)،كما شيدوا كثير من المدارس بمدينة فاس وبعض مدن المغرب الأقصى الأخرى، مازال باقيًا منها عشر مدارس، ست منها بفاس القديمة، ومدرستان بمكناس، ومدرسة واحدة بكل من فاس الجديد وسلا، بالإضافة إلى مدرسة سيدي بومدين بتلمسان السابق الإشارة إليها(3).

أما فيما يتعلق بتخطيط هذه العمائر الدينية التي شيدها المرينيون بالمغرب الأقصى، فتكشف المساقط الأفقية للمساجد المرينية اختلاف تخطيطها المعماري عن تخطيط المساجد الموحدية السابقة عليها- إلى حدٍ ما- واختلاف هذا التخطيط تمامًا عن التخطيط المعماري للمساجد التي شيدت على يد الدولتين الحفصية بالمغرب الأدنى والزيانية بالمغرب الأوسط- باستثناء مسجد سيدي إبراهيم-، اللتين تقاسمتا ممتلكات الموحدين ببلاد المغرب مع الدولة المرينية.

إذ يلاحظ أن المساجد الجامعة المرينية الباقية بالمغرب الأقصى اتبعت التخطيط التقليدي الذي اتبعته المساجد المغربية السابقة على العصر المريني، حيث تكشف مساقطها الأفقية أنها تشغل مساحات مستطيلة، تخطيطها عبارة عن صحن أوسط مكشوف محاط بأربعة أروقة، أكبرها وأعمقها رواق القبلة.

وعلى الرغم من ذلك فإن هناك كثيرًا من الملامح المعمارية التي تميزت بها تخطيطات هذه المساجد، فمن حيث المساحة يلاحظ صغر المساحة التي يشغلها المسجد المريني بشكل ملحوظ، مقارنةً بالمساجد المغربية السابقة عليه، إذ بلغت المساحة الكلية لأكبر المساجد المرينية الباقية بالمغرب الأقصى، وهو المسجد الجامع بفاس الجديد 1836م2 فقط، كما يلاحظ أن هذه المساحة أكثر عمقًا منها اتساعًا، أي أن المحراب لم يعد يتوسط الضلعين الطويلين للمسجد، كما هو الحال في المسجد الجامع بفاس الجديد(677هـ/ 1278م)، ومسجد الحمراء بفاس

---

(1) عثمان عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م، ج،1264.

(2) محمد الكحلاوى: المرجع السابق، ص ص152-153؛ Maslow, B., Op. Cit., pp.18-19

(3) عن هذه المدارس المرينية، انظر محمد أبو رحاب: المدارس المغربية، ص ص97 – 100 .

الجديد(739هـ/ 1339م) وجامع تازة بعد الزيادة المرينية عام(691هـ/ 1292م)، ومسجد باب الجيسة بفاس القديمة الذي يرجح إنشاؤه في القرن(8هـ/14م)(1)(الأشكال 30، 31، 33، 34)، باستثناء بعض المساجد المرينية كمسجد شالة، وجامع ابن صالح بمراكش، وجامع المدرسة البوعنانية بفاس القديمة(الأشكال32، 35، 36).

والواقع أن هذا التطور في التخطيط لم يكن من مبتكرات المعمار المريني، وإنما ظهرت إرهاصاته الأولى في العصر الموحدي، وذلك في جامع تازة الموحدي قبل الزيادة المرينية، ولكن وفقًا للتخطيط الذي تصوره بوريس ماسلو(Boris Maslow)، والذي وضعه بعد أن استبعد كل الزيادات التي تضمنتها اللوحة التأسيسية التي سجلت ما قام به أبو يعقوب يوسف المريني من إضافات وتجديدات على هذا الجامع الموحدي(2)(شكل 37)، مما يجعل هذا التصور أقرب للصحة من التصور الذي وضعه هنري تيراس(Henry Terrasse)، والذي رأى أن جامع تازة عند إنشائه كان على نمط جامع تينملل الموحدي(3)(شكل 4)، ولئن كان هناك تصوران لتخطيط جامع تازة الموحدي كما سبقت الإشارة، فإن هناك جامعًا موحديًا آخر ظهر في

---

(1) تباينت الآراء حول تاريخ إنشاء هذا المسجد، إذ نسبه الضعيف الرباطي هو والمدرسة المجاورة له إلى السلطان العلوي محمد بن عبد الله(1171-1204هـ/1757-1790م)، وأيده في ذلك بعض الباحثين، أنظر الضعيف الرباطي (محمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد، كان حيًا حتى عام 1238هـ/ 1812م): تاريخ الدولة العلوية السعيدة من نشأتها إلى أواخر عهد مولاي سليمان (1043- 1238هـ/ 1633-1812م)، دراسة وتحقيق محمد البوزيدي الشيخي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1988م، ج1، ص 305؛ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1993م، ج3، ص535؛ أحمد رمزي: دور الوقف في العمران والتكافل الاجتماعي في تاريخ فاس، بحث نشر في كتاب فاس في تاريخ المغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الندوات، مطبعة المعارف الجديدة-الرباط، 2009م، القسم الأول، ص366. في حين ذكر ماسلو أن تناسق التخطيط المعماري لهذا الجامع وتوزيع ملحقاته يسمحان بنسبته إلى القرن(8هـ/14م)، وأيده مارسيه في ذلك، لكنه رجح نسبة هذا المسجد للسلطان محمد بن عبد الله أو ابنه مولاي سليمان. انظر، Maslow, B., Op. Cit., pp. 92- 93; Marçais, G., Op. Cit.,p.391. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن كلاً من الناصري وابن زيدان اتفقا على نسبة المدرسة المجاورة لهذا الجامع إلى السلطان محمد بن عبد الله دون الإشارة إلى منشئ الجامع. انظر، الناصري: المصدر السابق، ج8، ص 69؛ عبد الرحمن ابن زيدان: الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية بالرباط، 1937م ، ص 58.

(2) Maslow, B., Op. Cit., pp. 17- 37.

(3) محمد الكحلاوي: عمائر الموحدين الدينية، ص 137.

تخطيطه بوضوح هذا التطور المعماري، وهو جامع حسان برباط الفتح (شكل2)، وإن كان هذا الجامع الأخير تميز باشتمال تخطيطه على ثلاثة صحون مكشوفة، في حين لم تعرف تخطيطات المساجد المرينية الباقية سواء بالمغربين الأقصى أو الأوسط ظاهرة تعدد الصحون.

كما شهدت المساجد المرينية الباقية بالمغرب الأقصى، تغييرًا في الأبعاد بين الصحن ورواق القبلة؛ حيث أصبحت البائكة التي تفصل بينهما تقسم مساحة المسجد إلى قسمين متساويين تقريبًا، وأصبح رواق القبلة قليل العمق، ولا يشتمل إلا على عدد قليل من البلاطات، بينما شغل الصحن مساحة كبيرة بالنسبة للمساحة الكلية التي يشغلها المسجد، هذا إلى جانب قلة عدد بلاطات الأروقة الثلاثة الأخرى المحيطة بالصحن، التي أصبحت تشتمل على بلاطة واحدة، كما هو الحال في الجامع الكبير بفاس الجديد، وجامع الحمراء بذات المدينة، وجامع باب الجيسة بفاس القديمة(الأشكال 30، 31، 34)، وصارت هذه الأروقة الجانبية تستخدم كممرات لحماية المصلين من المطر عند دخولهم المسجد(1)؛ ويرجع ذلك - فيما يبدو- إلى كثرة عدد المساجد الجامعة التي شيدها المرينيون إلى جانب المساجد السابقة على عصرهم؛ لذلك لم تعد هناك حاجة إلى الأروقة ذات المساحات الكبيرة, لاسيما وأن كبر المساحة مع قلة عدد النوافذ أو انعدامها أحيانًا بجدران هذه المساجد- كغيرها من عمائر الغرب الإسلامي كما سبقت الإشارة- يساعد على قلة دخول الضوء والهواء إلى هذه الأروقة, بالإضافة إلى استخدام الصحن للصلاة في فصل الصيف, لذلك فقد سدت فتحة العقد الأوسط لواجهة رواق القبلة المطلة على الصحن، والواقع على محور المحراب بحجاب خشبي، ويلاحظ أن أرضية الصحن تشتمل أسفل القسم الأوسط لهذا الحجاب على حنية ذات خمسة أضلاع، تقع على محور المحراب، وهى تحل مع الحجاب الخشبي السابق ذكره محل

(1) يحيى وزيري: العمارة الإسلامية والبيئة – الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي, سلسلة عالم المعرفة, عدد (304), المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت, يونيو 2004م, ص 156.

المحراب في تحديد اتجاه القبلة, ومن ثم عرف هذا الحجاب وفقًا للاصطلاح المغربي بـ "المحراب الصيفي" أو "العنزة"(1).

أما من حيث التخطيط العام للمساجد الجامعة المرينية الباقية بالمغرب الأقصى، فيمكن تقسيمها من خلال نظام توزيع البلاطات داخل أروقتها إلى نمطين رئيسين، الأول عقود بائكاته عمودية على اتجاه جدار القبلة، وهو النمط الشائع في المساجد المرينية- بل والمساجد المغربية السابقة واللاحقة على العصر المريني أيضًا- كالمسجد الجامع بفاس الجديد، وجامع الحمراء بفاس الجديد، وجامع ابن صالح بمراكش، وجامع تازة الموحدي بعد الزيادة المرينية (الأشكال 30، 31، 32، 33)، مع ملاحظة أن رواق القبلة بمساجد هذا النمط يشتمل فضلاً عن البلاطات التي تمتد عقودها عمودية على اتجاه جدار القبلة، على بلاطات عقودها موازية لهذا الجدار، بلغ عددها بلاطة واحدة تتقدم المحراب مباشرة في كل هذه النماذج(الأشكال 30، 31، 32، 33).

وأما النمط الثاني فعقود بائكاته موازية لجدار القبلة، ولا يمثله من المساجد الجامعة إلا جامع باب الجيسة بفاس القديمة، ومسجد شالة، وجامع المدرسة البوعنانية بفاس القديمة أيضًا (الأشكال34،35،36)، بينما انتشر هذا النمط في كل مساجد الفروض المرينية، كمسجد أبي الحسن، ومسجد الشرابليين، ومسجد جزام بن عامر، ومسجد رأس عين أزليتن وجميعها بفاس القديمة(الأشكال 38، 39، 40، 41)، ومسجد الزهر بفاس الجديد(شكل 42)(2).

2.4.2 المساجد المرينية بالمغرب الأوسط:

---

(1) هنري تيراس: مسجد للا عودة بمكناس, ترجمة عبد اللطيف ملين, بحث نشر في مجلة دعوة الحق, العدد الأول, السنة السادسة, مطبعة فضالة, المحمدية, أكتوبر 1962م، ص 63.

(2) Maslow, B., Op. Cit., pp.67,74, 80-81, 105. اشتملت بعض المدن المغربية وبخاصة مدينة فاس على كثير من المساجد الصغيرة، التي يفتقر عدد كبير منها إلى تحديد منشئه وتاريخ بنائه، للاستزادة حول هذه الظاهرة انظر، عبد العزيز توري: من خصائص عمارة مدينة فاس العتيقة، بحث نشر في كتاب فاس في تاريخ المغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الندوات، مطبعة المعارف الجديدة-الرباط، 2009م، القسم الثاني، ص ص89-91؛ محمد أبو رحاب: جامع ابن صالح المريني بمراكش، ص ص1583.

أما بالنسبة للمساجد المرينية الباقية بالمغرب الأوسط، المتمثلة- كما سبقت الإشارة- في جامع المنصورة(شكل 43)، وجامع سيدي بومدين بالعباد قرب تلمسان(شكل 28)، وجامع سيدي الحلوي بتلمسان(شكل 29)، فيلاحظ أن تخطيطها يتفق مع مثيلاتها المرينية بالمغرب الأقصى، التي تتبع النمط الأول، حيث تشغل مساحات مستطيلة أكثر عمقًا منها اتساعًا، أي يتوسط المحراب أحد الضلعين الطويلين للمسجد(الأشكال 28، 29، 43)، كما يتفق كل من جامعي سيدي بومدين وسيدي الحلوى مع المساجد المرينية بالمغرب الأقصى من حيث صغر المساحة؛ إذ تبلغ مساحة الأول 537.70م2، بينما تبلغ مساحة الجامع الثاني 478.50م2، ومن حيث اشتمال رواق القبلة فضلاً عن البلاطات العمودية على جدار القبلة، على بلاطة موازية لهذا الجدار تتقدم المحراب مباشرة، بالإضافة إلى اشتمال كل من الرواق الشمالي، والرواقين الغربي والشرقي لكل منهما على بلاطة واحدة(الشكلان 28، 29)، تمامًا كما هو الحال في المساجد المرينية بالمغرب الأقصى، كالمسجد الجامع بفاس الجديد، وجامع الحمراء بذات المدينة، وجامع ابن صالح بمراكش(الأشكال 30، 31، 32).

أما جامع المنصورة فإنه يتفق مع المساجد المرينية التي تتبع النمط الأول – كما سبقت الإشارة- من حيث التخطيط العام، لكنه تميز عنها ببعض الظواهر، فمن حيث المساحة يلاحظ أن مساحته الكلية بلغت 5100م2، وهو بذلك يعد أكبر مسجد مريني بالمغربين الأقصى والأوسط على حدٍ سواء، وواحدًا من أكبر المساجد المغربية بوجه عام؛ إذ تقترب مساحته من المساجد الموحدية التي امتازت بضخامتها وكبر مساحتها، كجامعي الكتبية الثاني والمنصور بمراكش(الشكلان5،6).

ويبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى كونه جامع الخطبة الوحيد بمدينة المنصورة المرينية؛ إذ لم تشر المصادر التاريخية - المتاحة- إلى تشييد أبي يعقوب يوسف مؤسس هذه المدينة أو غيره من سلاطين بني مرين لمساجد جامعة أخرى بهذه المدينة، فضلاً عن ذلك فإن مدينة المنصورة لم تكن مدينة ملكية كالبلد الجديد أو فاس الجديد المرينية بالمغرب الأقصى، والتي شيدها أبو يوسف يعقوب، لـ: "يتميز

بسكناه في حاشيته، وأهل خدمته، وأوليائه الحاملين سرير ملكه"(1)، وقد انعكس ذلك على مساحة جامع الخطبة، الذي شيده هذا السلطان لمدينته؛ إذ بلغت 1836م2، مما جعل أبا الحسن علي(731- 749هـ/ 1331- 1348م) يشيد جامعًا آخر جديدًا للخطبة، هو جامع الحمراء بالمدينة نفسها؛ ليستوعب – فيما يبدو- أعداد المصلين المتزايد بكثافة سكانها.

أما من حيث التخطيط المعماري لجامع المنصورة، فيلاحظ أنه انفرد باشتمال رواق قبلته – فضلاً عن البلاطات العمودية على جدار القبلة- على ثلاث بلاطات تتقدم المحراب مباشرة، تمتد عقودها بموازاة جدار القبلة(شكل 43)، مما يذكر بتخطيط رواق القبلة بجامع حسان بالرباط(2)(شكل 2)، في حين بلغ عدد هذه البلاطات في كل المساجد الأخرى المرينية التي تتبع النمط الأول- سواء التي بالمغرب الأقصى أو الأوسط- بلاطة واحدة(الأشكال 28، 29، 30، 31، 32، 33)، كما أن المساحة المربعة التي تتقدم المحراب بجامع المنصورة- والتي ربما كانت مغطاة بقبة أو بالبرشلة - تمتد بعرض هذه البلاطات الثلاثة(شكل 43)، وليس بعرض بلاطة واحدة، كما هو الحال في المساجد المرينية الأخرى(الأشكال 28، 29، 30، 31، 32، 33)، ولعل هذا الاختلاف في الشكل المعماري كان الهدف منه تزويد رواق قبلة جامع المنصور بنسبة كبيرة من الإضاءة والتهوية؛ نظرًا لعمقه وكبر مساحته قياسًا بالمساجد المرينية الأخرى، وربما كان هذا الحل المعماري بديلاً عن ظاهرة تعدد الصحون التي شهدتها المساجد الموحدية ذات المساحات الكبيرة، كجامعي حسان بالرباط والمنصور بقصبة مراكش(الشكلان6،2).

كذلك تميز جامع المنصورة المريني باشتمال الرواقين الجانبيين للصحن، الشرقي والغربي على ثلاث بلاطات عمودية على اتجاه جدار القبلة(شكل 43)، وليس بلاطة واحدة كما هو شائع في كل المساجد المرينية التي تتبع النمط الأول (الأشكال 28،

---

(1) ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، ت: 808هـ/ 1406م): تاريخ ابن خلدون المسمى المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 2000م، ج7، ص 258.

(2) عبد العزيز لعرج: المرجع السابق، ص 129.

29، 30، 31، 32)، باستثناء جامع تازة بعد الزيادة المرينية التي بلغ عددها بلاطتين(شكل 33)، ويبدو أن السبب في ذلك هو زيادة المساحة المسقوفة بالجامع لتتسع لأكبر عدد من المصلين، وحمايتهم من العوامل الجوية صيفًا وشتاءً، لاسيما وأنه جامع الخطبة الوحيد بمدينة تلمسان الجديدة كما سبقت الإشارة.

وقد اتبعت المساجد المرينية الباقية سواء التي بالمغرب الأقصى أو تلك التي بتلمسان بالمغرب الأوسط، أسلوب التغطية الشائع في مساجد الغرب الإسلامي، حيث غطيت بأسقف خشبية جملونية الشكل، وتأخذ الأسطح من الخارج نفس امتداد بلاطات الأروقة من الداخل، سواء أكانت هذه البلاطات عمودية أم موازية لجدار القبلة، وإن كان ثمة اختلاف فيتمثل في تغطية جامع سيدي بومدين بالعباد – كما سبقت الإشارة - بسقف جملوني من الجص مزين بزخارف هندسية متنوعة(لوحة6)، وهو نموذج فريد من نوعه في العمارة الدينية ببلاد المغرب(1)، فربما كان الدافع وراء بناء سقف هذا الجامع بمادة الجص هو عدم توفر الخشب اللازم للبناء آنذاك، أو توفيرًا للنفقات وسرعة انجاز البناء، لاسيما وأن هذا الجامع شيد في غمار الصراع السياسي والعسكري بين المرينيين بقيادة سلطانهم أبى الحسن منشئ الجامع والزيانيين، لتوحيد المغرب الكبير تحت النفوذ المريني(2).

ويرجع غلبة استخدام الأسقف غير المسطحة من أسقف جملونية وأقبية متقاطعة ونصف أسطوانية وقباب بالمساجد المرينية والحفصية والزيانية، بل وغيرها من عمائر الغرب الإسلامي بصفة عامة، إلى طبيعة الأحوال المناخية بهذه البلاد, التي تتميز بتساقط الأمطار بغزارة لفترات طويلة من العام, وبالتالي تمنع هذه الأسقف المائلة أو المنحنية تجمع المياه بأعلاها, ويتم تصريفها عبر قنوات للاحتفاظ بها في

---

(1) بورويبة والدكالى: المرجع السابق ص 129؛ لطيفة بوراية: نماذج من الزخرفة الهندسية في عمارة جامعي أبى مدين والحلوى بتلمسان، بحث نشر في كتاب مؤتمر تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان – الجزائر 2011م، الجزء الأول، ص237.

(2) يحيى بن خلدون (أبو زكرياء بن محمد، ت: 780هـ/ 1378م): بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1903م، ص ص 161-163؛ ابن خلدون : المصدر السابق، ج7، ص 381.

صهريج بصحن المسجد؛ للاستفادة من هذه المياه في الوضوء وغيره وبخاصة في فترات الجفاف, كما أن الأسقف المنحنية تزيد من سرعة الهواء المار فوق سطوحها, وتستقبل كمية قليلة من أشعة الشمس قياسًا بالأسقف المسطحة, فيترتب على ذلك تلطيف درجة الحرارة داخل المبنى في فصل الصيف(1), فضلاً عن ذلك فإن استخدام القباب والأسقف الهرمية والجملونية في التغطية يزيد من الفراغ الداخلي للمبنى؛ مما يؤدي إلى وفرة الإضاءة والتهوية الجيدة, إلى جانب أن الزيادة في المساحة الداخلية يوفر مكانًا لحركة الهواء الدافئ الملامس للسقف؛ مما يؤدي إلى توزيع شدة الإشعاع الشمسي فوق مساحة أكبر, وبالتالي تقل درجة الحرارة داخل المبنى أثناء النهار، وبخاصة في فصل الصيف(2).

وقد كان لاستخدام الأسقف الجملونية أثره – فيما يبدو- على تخطيط المساجد بهذه البلاد؛ فنظرًا لأن هذه الأسقف صنعت من الخشب, وهي مادة ضعيفة – نسبيًا- ولا تستمر على حالتها لمدة طويلة, وتحتاج إلى ترميم وصيانة في فترات متقاربة, فكان لا بد من تقسيم الأسقف الطويلة إلى أقسام أو أجزاء ليسهل صيانتها وتجديدها, لذلك جاء تخطيط مساجد هذه البلاد- التي تميز بعضها باتساع مساحاته كما سبقت الإشارة- يتكون من بلاطات عمودية أو عمودية وموازية لجدار القبلة, عن طريق بائكات عبارة عن صفوف من أعمدة – في المساجد المبكرة- أو دعامات تحمل سلسلة من العقود لتزيد من الفراغ الداخلي للمبنى, ويرتكز على كل صفين من هذه الأعمدة أو الدعامات جزء أو قسم من السقف, وبهذا الفصل

---

(1) إيمان محمد عيد عطية: أساليب التصميم المعماري في المجتمعات الصحراوية, بحث نشر في المؤتمر المعماري الدولي الثالث (عمارة وتخطيط الصحراء – تجارب الماضي وآفاق المستقبل), كلية الهندسة – قسم العمارة, جامعة أسيوط, نوفمبر 1997م, ص 34 ب؛ سامي سليمان عليوة: الخصائص البصرية والبيئية للتجمعات العمرانية الهامشية في إقليم جنوب مصر, بحث نشر في المؤتمر المعماري الدولي الثالث (عمارة وتخطيط الصحراء- تجارب الماضي وآفاق المستقبل), كلية الهندسة- قسم العمارة, جامعة أسيوط, نوفمبر 1997م, ص 20.

(2) إيمان محمد عيد عطية: المرجع السابق, ص 34 ب.

الإنشائي تتم عملية الترميم والتجديد في أي جزء من هذا السقف دون أن يؤثر على الأجزاء المجاورة(1).

كذلك كان لاستخدام القباب في تغطية بعض المساحات بداخل هذه المساجد أثره على تخطيطها, حيث يلاحظ أن البلاطة التي تتقدم المحراب بكثير من المساجد الحفصية والزيانية والمرينية, غطيت المساحة الوسطى منها التي تتقدم المحراب بقبة, لذلك فإن هذه البلاطات على الرغم من أن عقود كل منها تمتد بموازاة جدار القبلة, اشتملت أيضًا على عقدين عموديين على هذا الجدار, وذلك ليمكن تشكيل مساحة مربعة يتم تحويل مسقطها المربع إلى مسقط مثمن أو دائري تقوم عليه القبة, كما كان لذلك أثره أيضًا على نوعية الدعامات الحاملة لعقود هذه البلاطات, حيث جاءت غالبًا من النوع الذي على هيئة حرف T أو متعامدة على هيئة الصليب؛ ليرتكز على الأولى ثلاثة عقود, ويرتكز على الثانية أربعة عقود(الأشكال 9- 13،27- 32،34)، أما جامع تازة بعد الزيادة المرينية فعلى الرغم من أن عقود البلاطة التي تتقدم المحراب تمتد بموازاة جدار القبلة, يلاحظ أنها اشتملت أيضًا على أربعة عقود عمودية على هذا الجدار, وذلك ليمكن تشكيل ثلاث مساحات مربعة، غطيت كل منها بقبة، واحدة في كل جانب، والثالثة في الوسط تتقدم المحراب(شكل33).

وعلى أية حال، فإذا كانت المساجد الحفصية والزيانية والمرينية ببلاد المغرب، قد اختلفت فيما بينها – في قليل أو كثير – من حيث التخطيط وأسلوب التغطية ومواد البناء المستخدمة في بناء هذه الأسقف، فإن مآذن هذه المساجد – باستثناء نماذج قليلة للغاية- تأثرت بمئذنة جامع المنصور الموحدى بقصبة مراكش، التي استخدمت شبكة المعينات كعنصر رئيس في زخرفة واجهاتها الأربعة، وكسي جزؤها العلوي ببلاطات من الزليج المتعدد الألوان(2)(لوحة 7)، وإن كان ثمة إضافة من المعمار الحفصى والزيانى والمريني، فتتمثل في التوسع في استخدام الزليج في كسوة

---

(1) تجدر الإشارة إلى أن المعمار المغربي تنبه إلى هذا الحل منذ تخطيطه للمساجد الأولى بهذه البلاد, كالمسجد الجامع في القيروان. انظر, نجوى عثمان: مساجد القيروان, دار عكرمة, دمشق – سوريا, 2000م, ص ص 102- 103.

(2) بورويبة: الطراز الموحدي ومشتقاته، ص 227.

الواجهات الأربع لغالبية المآذن الحفصية والزيانية والمرينية(اللوحات8،9،10)، بعد أن كان يستخدم- ولأول مرة- كأشرطة ضيقة توجت واجهات مئذنتي جامع الكتبية الثاني بمراكش وجامع المنصور بقصبة مراكش(1).

وبخلاف هذه المآذن السابق الإشارة إليها التي اتخذت من مئذنة جامع المنصور الموحدي بقصبة مراكش نموذجًا لها، فإن مئذنة جامع المنصورة المرينى شيدت على غرار مآذن الموحدين الضخمة في جامع الكتبية الثاني بمراكش، وجامع حسان برباط الفتح، وجامع إشبيلية بالأندلس، وتعد مئذنة جامع المنصورة آخر المآذن من هذا النوع ببلاد المغرب والأندلس(2).

ويبلغ طول ضلع مئذنة المنصورة المرينية 10م، وارتفاعها الحالي – بعد سقوط الأجزاء العلوية التي كانت تكملها- 38م(لوحة11)، وقدر بعض الباحثين ارتفاعها الكلى بنحو 45م، وبذلك تعد أعلى مآذن المغرب الأوسط(3)، وأكثر مآذن المغرب والأندلس ارتفاعًا بعد المآذن الموحدية السابق الإشارة إليها، وكما هو الحال بالمآذن الموحدية الثلاثة السابق الإشارة إليها، كان يوجد بالبدن المركزي لمئذنة المنصورة عدة غرف متطابقة، بلغ عددها ستًا أو سبع غرف، غطيت كل منها بقبة أو بأقبية متقاطعة(لوحة12).

3.4.2 المدارس المرينية بالمغربين الأقصى والأوسط:

أما فيما يتعلق بالمدارس المرينية بالمغرب الأقصى، فلا يزال باقيًا منها عشر مدارس كما سبقت الإشارة، وهي بحسب ترتيبها التاريخي: مدرسة الشهود أو القاضي بمكناس، شيدها يعقوب بن عبد الحق نحو عام(674هـ/ 1275م)(شكل 44)، ومدرسة الصفارين بفاس القديمة شيدها يعقوب بن عبد الحق أيضًا(675هـ/ 1276م) (شكل 45)، ومدرسة دار المخزن بفاس الجديد شيدها أبو سعيد

---

(1) ليوبولدو توريس بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ترجمة: د. سيد غازي، دار المعارف بمصر، 1971م، ص ص 27، 52؛ محمد الكحلاوي: المرجع السابق، ص 488.

(2) السيد عبد العزيز سالم: روائع الآثار الإسلامية بجمهورية الجزائر، بحث نشر في مجلة المجلة، العدد التاسع والعشرون، مايو 1959م، ص 32؛ بورويبة: المرجع السابق، ص 238.

(3) عبد العزيز لعرج: المرجع السابق، ص 144.

عثمان(721هـ/ 1321م) (شكل 46)، ومدرسة الصهريج وملحقتها مدرسة السبعيين بفاس القديمة شيدهما أبو الحسن علي(723هـ/ 1323م)(الشكلان 47- 48)، ومدرسة العطارين بفاس القديمة أيضًا شيدها أبو سعيد عثمان(725هـ/ 1325م) (شكل 49)، والمدرسة الجديدة بمكناس المعروفة خطأً بالبوعنانية شيدها أبو الحسن علي فيما بين(736- 742هـ/ 1336- 1341م)(شكل 50)، ومدرسة سلا شيدها أبو الحسن علي أيضًا عام (742هـ/ 1341م)(شكل 51)، والمدرسة المصباحية بفاس القديمة شيدها السلطان نفسه (747هـ/ 1346م)(شكل 52)، وأخيرًا المدرسة البوعنانية بفاس القديمة أيضًا شيدها أبو عنان فارس فيما بين(751- 756هـ/ 1350- 1355م)(1)(شكل 36).

وتكشف المساقط الأفقية لهذه المدارس أن تخطيطها ينقسم إلى نمطين رئيسين، أحدهما بسيط والآخر مركب، الأول وهو الشائع في كل هذه المدارس- باستثناء المدرسة البوعنانية بفاس القديمة- يتكون من صحن مكشوف في الوسط بجهته الجنوبية – الشرقية بمدرسة العطارين، والشمالية بالمصباحية بفاس القديمة(الشكلان 49، 52)- قاعة مستطيلة للصلاة والدرس غطيت بسقف خشبي جملوني الشكل، وبكل من الجهتين الغربية والشرقية- بالإضافة إلى الشمالية بمدرسة أبي الحسن بمكناس(شكل 50)- رواق أو ممر مغطى يتقدم مساكن الطلاب، التي وزعت في طابقين أو ثلاثة(الأشكال 44، 45، 46، 47، 48، 50، 52)، وإن كانت بعض هذه المدارس لا تشتمل على مساكن للطلاب بدورها الأرضي، كمدرسة العطارين بفاس القديمة، ومدرسة أبي الحسن بسلا(2)(الشكلان 49، 51)، وقد غطيت الحجرات والغرف بهذه المدارس بأسقف خشبية مسطحة.

أما النمط الثاني وهو المركب، فيوجد منه نموذج واحد فقط يتمثل في المدرسة البوعنانية بفاس القديمة(شكل 36)، وهي آخر المدارس التي شيدت في العصر المريني، وتخطيطها عبارة عن صحن أوسط مكشوف بالجهة الجنوبية منه قاعة

(1) محمد أبو رحاب: المدارس المغربية في العصر المريني، ص ص 255- 256.

(2) محمد أبو رحاب: نفس المرجع، ص 447.

مستطيلة مقسمة إلى بلاطتين موازيتين لجدار القبلة، يلاحظ أنهما غير متساويتين في المساحة، وقد تشكلتا بواسطة بائكة ترتكز على ستة أعمدة من الرخام، وتستخدم هذه القاعة كمسجد جامع، وقد غطيت بسقف خشبي جملوني الشكل، وبالجهات الغربية والشرقية والشمالية للصحن رواق يتقدم مساكن الطلاب، غطيت بأسقف خشبية مسطحة، وتتوسط الجهتين الغربية والشرقية قاعة مربعة للدرس(شكل36)، غطيت كل منهما بقبة خشبية(1).

وعلى الرغم من وجود نمطين لتخطيط هذه المدارس المرينية- كما سبقت الإشارة- فلا يعني ذلك أن الاختلاف بينهما جوهري؛ إذ إن وجود النمط الثاني لا يعبر إلا عن محاولة فردية من قبل المنشئ لبناء مدرسة ومسجد جامع معًا، ومن هنا فإن الاختلاف في الشكل المعماري جاء تلبية لحاجة الوظيفة؛ لأن جميع المدارس المرينية التي تمثل النمط الأول كانت تؤدى فيها الصلوات الخمس فقط، ولم تقم فيها الخطبة أو الجمعة؛ لكونها لم تكن مساجد جامعة(2).

وأما مدرسة سيدي بومدين التي شيدها أبو الحسن المريني عام(747هـ/ 1346م) ضمن مجموعته المعمارية بالعباد قرب تلمسان(شكل 54)، فيلاحظ أن تخطيطها يتفق مع مثيلاتها المرينية بالمغرب الأقصى، التي تتبع النمط الأول البسيط(الأشكال 44- 52)، وعلى الرغم من ذلك فقد تميز تخطيط مدرسة العباد بظاهرة انفردت بها عن كل المدارس المرينية، سواء التي تتبع النمط الأول أو المدرسة البوعنانية التي تمثل النمط الثاني، وهي ظاهرة تعدد الصحون؛ إذ يوجد على يسار قاعة الصلاة والدرس بهذه المدرسة أربع حجرات مستقلة عن الصحن المكشوف الذي يتوسط المدرسة(شكل 53)، كانت تستخدم كسكن خاص بشيوخ المدرسة، وقد تطلب هذا الوضع المعماري وجود صحن مكشوف يشغل مساحة صغيرة مستطيلة تفتح عليه هذه الحجرات لتزويدها بالتهوية والإضاءة(شكل 53)؛ نظرًا لقلة – أو انعدام- عدد النوافذ الخارجية بواجهات هذه المدرسة وغيرها من المنشآت المغربية؛ نتيجة

---

(1) محمد أبو رحاب: نفس المرجع، ص ص 447- 448.

(2) محمد أبو رحاب: نفس المرجع، ص 448.

لبرودة الجو الشديدة بهذه البلاد، لذلك كان الحرص على توجيه الوحدات المختلفة المكونة لهذه المنشآت للداخل، حيث تلتف حول الصحن الأوسط المكشوف، الذي يزودها بالتهوية والإضاءة دون الحاجة إلى فتح نوافذ خارجية(1).

ويتضح من العرض السابق لأنماط المدارس المرينية بالمغرب الأقصى وكذلك مدرسة سيدي بومدين بالعباد، أنها تتفق مع مثيلاتها الحفصية في اشتمال كليهما على القاعة المغلقة المستخدمة للصلاة والدرس، وإن كان ثمة اختلاف فيتمثل في أسلوب التغطية، حيث غطيت قاعات المدارس المرينية – كما سبقت الإشارة – بأسقف خشبية جملونية الشكل، بينما استخدمت الأقبية المتقاطعة في تغطية قاعات الصلاة بالمدارس الحفصية، باستثناء المنتصرية التي غطيت قاعتها بسقف خشبي مسطح، كما أن المدارس الحفصية تشتمل بالإضافة إلى القاعة المغلقة، على إيوانين أو ثلاثة كما هو الحال في المدرسة المنتصرية، على الجوانب الأخرى للصحن، بينما لم تستخدم الإيوانات مطلقًا في المدارس المرينية، حتى عند إضافة وحدات معمارية على جانبي صحن المدرسة البوعنانية، كانت عبارة عن قاعة مغلقة بكل من الجانبين الشرقي والغربي للصحن، غطيت كل منها بقبة كما سبقت الإشارة(شكل54).

كذلك تتفق المدارس المرينية مع مثيلاتها الحفصية في اشتمال كل منهما على صحن أوسط مكشوف يتوسطه صهريج أو فسقية، وعلى جانبية وزعت الوحدات المعمارية الأخرى للمدرسة، وإن كان ثمة اختلاف يتمثل في إحاطة صحون المدارس المرينية بالأروقة من جانبين أو ثلاثة وأحيانًا من الجوانب الأربعة(الأشكال44-53)، أما المدارس الحفصية فيلاحظ أن صحن كلٍ من المدرستين الشماعية والعنقية محاط بالأروقة من أربعة جوانب(شكل20،22)، وأحيط صحن مدرسة ابن تافراكين برواق واحد(شكل23)، بينما لا وجود لهذه الظاهرة بصحن المدرسة المنتصرية(شكل24).

---

(1) محمد أبو رحاب: ملامح تخطيط العمائر الدينية المرينية، ص ص 154-155.

وتتفق بعض المدارس المرينية مع مثيلاتها الحفصية في صغر المساحة التي تشغلها بشكل ملحوظ، وعلى الرغم من ذلك تتكون المدارس الحفصية، باستثناء المدرسة الشماعية، من طابق واحد، بينما لجأ المعمار المريني لمضاعفة هذه المساحة عن طريق امتدادها رأسياً في طابقين أو ثلاثة، كما استغل الطابقان الأول والثاني في بناء مساكن الطلاب على ساباطات تربط أحد جدران المدرسة بأحد جدران المنشآت المقابلة لها، كما هو الحال بمدرسة العطارين بفاس القديمة ومدرسة أبى الحسن بسلا، وهو حل معماري يكشف عن براعة المعمار المريني الذي أضاف للمدرسة مساحة الساباطات التي تعلو الشارع المجاور للمدرسة، واستغله كمساكن للطلاب تعوض صغر المساحة الأصلية للمدرسة بهذا الحل المعماري الموفق، كما يتضح من الجدول رقم(3):

المدرسة	المساحة م2	عدد الطوابق	المساحة بعد الإضافة م2
مدرسة القاضي بمكناس	357	طابقان	714
مدرسة الصفارين بفاس القديمة	820	طابقان	1640
مدرسة دار المخزن بفاس الجديد	350	طابقان	700
مدرسة الصهريج بفاس القديمة	540	ثلاثة طوابق	1620
مدرسة العطارين بفاس القديمة	480	ثلاثة طوابق	1440
المدرسة الجديدة بمكناس	640	طابقان	1280
مدرسة أبو الحسن بسلا	240	ثلاثة طوابق	720
المدرسة المصباحية بفاس القديمة	504	ثلاثة طوابق	1512
المدرسة البوعنانية بفاس القديمة	1290(1)	طابقان	2580

وتجدر الإشارة إلى أن المدرسة البوعنانية تعد من أكبر المدارس الأثرية ببلاد المغرب، إذ لا تفوقها مساحة إلا المدرسة الغالبية المعروفة بمدرسة ابن يوسف بمراكش،

(1) محمد أبو رحاب: المدارس المغربية، ص 463.

التي شيدت في العصر السعدي(972هـ/1564-1565) وتبلغ مساحتها الكلية 1804م2، والتي تعد أكبر مدرسة أثرية ليس بالمغرب الأقصى فحسب، بل في كل الشمال الإفريقي(1).

وبينما اشتملت كل من مدرستي الصفارين والبوعنانية بفاس القديمة على مئذنة، يلاحظ أن المدارس الحفصية لا تشتمل على مآذن مطلقًا، كذلك لم تعرف المدارس الحفصية ظاهرة تعدد الوظائف، حيث كانت بيوت الصلاة التي تضمها تؤدى فيها الصلوات الخمس فقط، ولم تقم فيها الخطبة أو الجمعة؛ لكونها لم تكن مساجد جامعة، بينما نجد أن المدرسة البوعنانية جمعت بين وظيفة المدرسة والمسجد الجامع معًا، كما سبقت الإشارة.

وعلى العكس من المدارس المرينية بالمغرب الأقصى ومدرسة العباد بتلمسان، التي لم تكن تشتمل على ضريح ملحق ببنائها، يلاحظ ظهور هذا الجزء الإضافي بالمدارس الحفصية بالمغرب الأدنى، حيث نجده- كما سبقت الإشارة- في مدرسة ابن تافراكين بتونس.

وتبقى الإشارة، إلى اتفاق المدارس المرينية مع مثيلاتها الحفصية، في أن كلاً منها عرفت ظاهرة تعدد الصحون، حيث اشتملت كل من مدرسة العباد المرينية بتلمسان(747هـ/ 1346م)(شكل 54)، والمدرسة المنتصرية الحفصية بتونس(841هـ/1438م)(شكل24) على صحنين، إذ يوجد على يسار بيت الصلاة بالمدرسة الأولى، وعلى يمين بيت الصلاة بالمدرسة الثانية، عدد من الحجرات مستقلة عن الصحن المكشوف الذي يتوسط المدرسة، وقد تطلب هذا الوضع المعماري وجود صحن مكشوف يشغل مساحة صغيرة مستطيلة تفتح عليه هذه الحجرات؛ لتزويدها بالتهوية والإضاءة(الشكلان53،24).

(1) محمد أبو رحاب: العمائر الدينية والجنائزية، ص ص 346-347.

خاتمــة:

وعلى أية حالٍ، فقد وضح في ضوء العرض السابق أن بلاد المغرب ازدانت في عصر الدول الثلاث الحفصية والزيانية والمرينية، التي تقاسمت ممتلكات دولة الموحدين، بعمائر دينية متنوعة ما زال بعضها قائمًا حتى الآن بحالة جيدة، لا تقل أهمية عن مثيلاتها الموحدية، وتعد بحق من روائع الفن المعماري الإسلامي، وقد اتفقت هذه المنشآت فيما بينها في كثير من الظواهر والعناصر المعمارية، بحكم الجوار والعلاقات المتبادلة فيما بينها نتيجة لهذا الجوار، ووحدة المذهب، وكذلك خضوعها لنفس العوامل البيئية والمناخية، ولنفس الروافد والمؤثرات، كما انفرد بعضها بظواهر وعناصر معمارية لم تشاهد في غيرها، كظهور التخطيط الإيوانى والضريح- على سبيل المثال- بالمدارس الحفصية حسب الطراز المشرقي، مما يوضح أثر العلاقات الجيدة التي كانت تربط الحفصيين بالمشرق آنذاك، وبخاصة مصر، على تخطيط عمائرهم الدينية بينما لم تظهر بمثيلاتها الزيانية والمرينية.

ومما لاشك فيه أن مقارنة العمائر الدينية الحفصية والزيانية والمرينية ببلاد المغرب، ليس فقط من خلال التصميم المعماري – الذي يعد أساس الأنماط المعمارية - بل ومن الناحية المعمارية والفنية، يعد من الموضوعات المهمة التي مازال يعوزها قسط وافر من عناية البحث والدراسة والتحليل، لتكتمل المعرفة بأنماط تصميم العمائر الدينية ببلاد المغرب، في تلك الفترة المهمة من تاريخ هذه البلاد في العصر الإسلامي، كما تكشف عن مدى حيوية ومرونة الفن المعماري ببلاد المغرب في هذه الفترة، واستيعابه للتقاليد والأصول القديمة، وتطويرها، وإفادته من التأثيرات الوافدة من شتى الأقطار الإسلامية، وصهر كل ذلك في بوتقة واحدة والخروج بفن جديد تميز بقوة شخصيته.

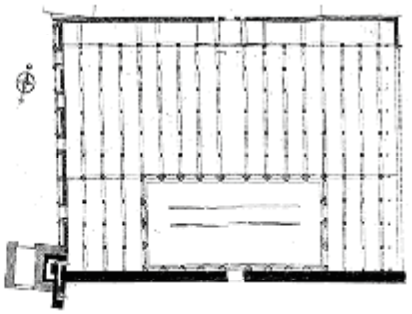

(شكل1) مسقط أفقى لجامع الكتبية الأول بمراكش
عن:محمد الكحلاوى: عمائر الموحدين الدينية، شكل10

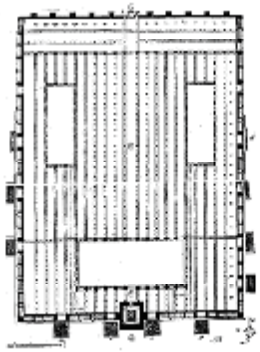

(شكل2) مسقط أفقى لجامع حسان بالرباط
عن: الكحلاوى: نفس المرجع، شكل 28

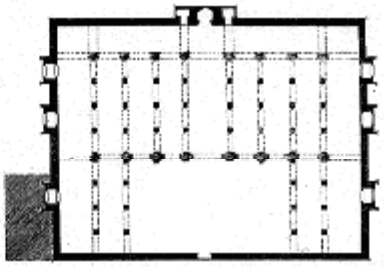

(شكل3) مسقط أفقى لجامع تينملل الموحدى
عن: الكحلاوى: نفس المرجع، شكل11

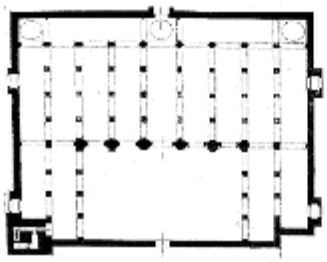

(شكل4) مسقط أفقى للجامع الموحدى بتازة
عن: الكحلاوى: نفس المرجع، شكل6

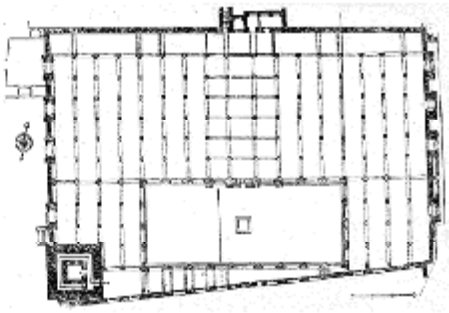

(شكل5) مسقط أفقى لجامع الكتبية الثانى بمراكش
عن: الكحلاوى: نفس المرجع، شكل15

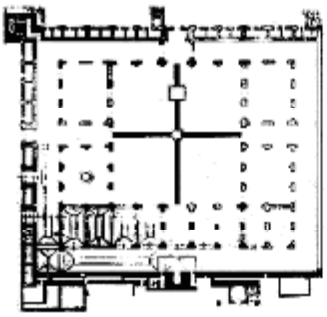

(شكل6) مسقط أفقى لجامع المنصور بقصبة مراكش
عن: Deverdun,G; Marrakech des Origines, PLXXVIII

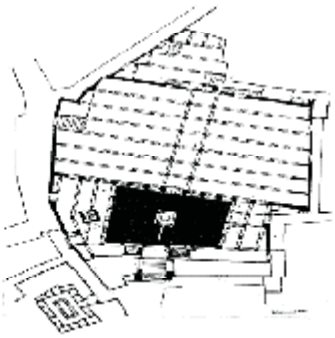

(شكل7) مسقط أفقي لجامع الاتلس بفاس القديمة
عن: الكحلاوي: المرجع السابق، شكل45

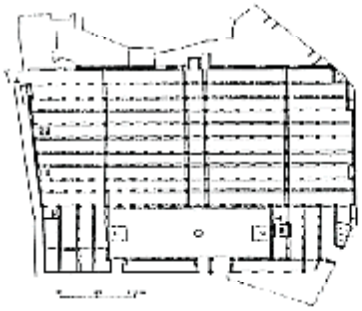

(شكل8) مسقط افقي لجامع القرويين بفاس القديمة
عن:Marçais, G., L'Architecture,fig.128, p.199.

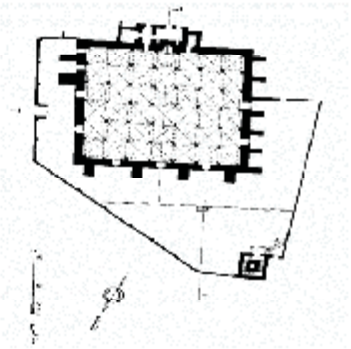

(شكل9) مسقط أفقي لجامع الهواء بتونس
عن: الدولاتلي: المرجع نفسه، شكل13

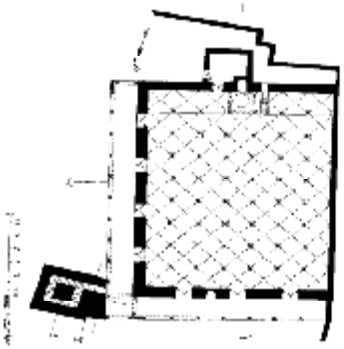

(شكل10) مسقط أفقي لجامع القصبة بتونس، عن:
الدولاتلي: مدينة تونس في العهد الحفصي، شكل 24، ص151

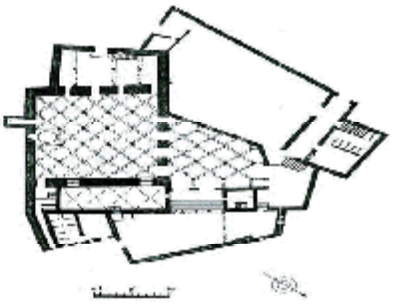

(شكل11) مسقط أفقي لجامع باب البحر بتونس
عن: عامر عجلان: المساجد الحفصية، شكل 51

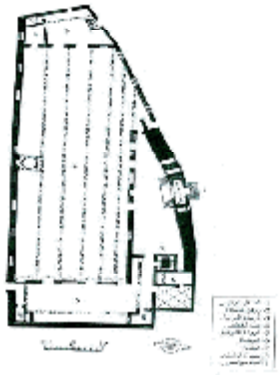

(شكل12) مسقط أفقي لجامع سيدي سليمان بتونس
عن: عامر عجلان: نفس المرجع، شكل 101

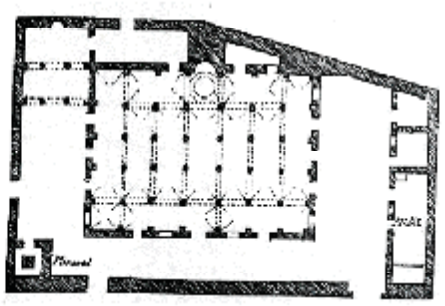

(شكل13) مسقط أفقي لجامع الحلق بتونس
عن:Marçais, G., Op.Cit.,fig.260, p.459.

(شكل14) مسقط أفقي لجامع باب الأقواس بتونس،عن:
Marçais, Ibid.,fig.261, p.460.

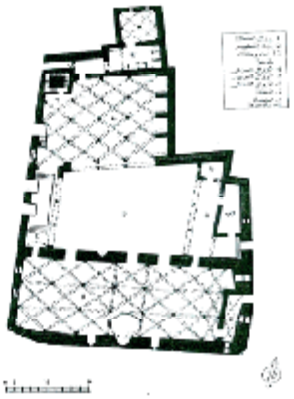

(شكل15) مسقط أفقي لجامع أبي محمد المرجاني بتونس
عن: عامر عجلان: المرجع السابق، شكل.62

(شكل16) مسقط أفقي لجامع باب الجزيرة بتونس
عن: عامر عجلان: نفس المرجع، شكل 73

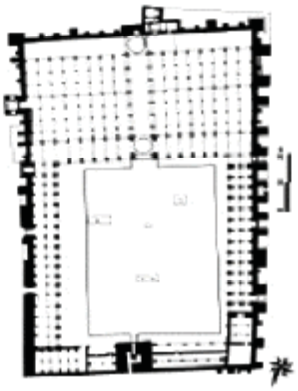

(شكل17) مسقط أفقي لجامع القيروان
عن:أحمد فكري: المسجد الجامع بالقيروان، شكل2

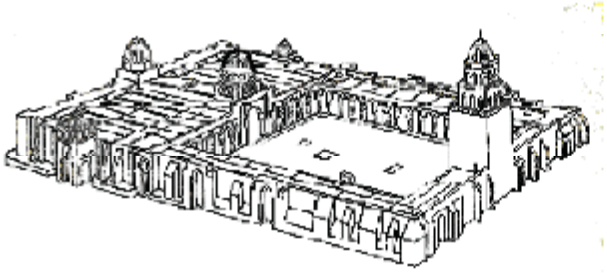

(شكل18) مسقط أفقي لجامع القيروان
عن:Hillenbrand,R., Islamic Architecteur,PL.2.143

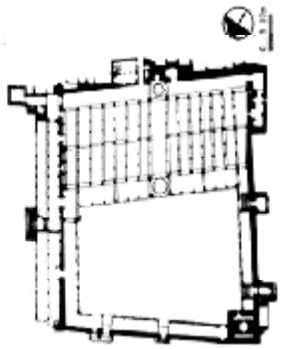

(شكل19) مسقط أفقي لجامع الزيتونة بتونس
عن: أحمد فكري: المدخل، شكل 105.

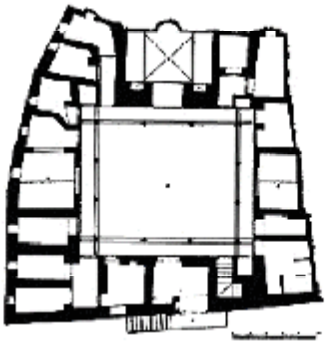

(شكل20) مسقط للدور الأرضي بالمدرسة الشماعية بتونس،عن:
Golvin, L., La Madrasa Médiévale,pl.49, p.176.

(شكل21) مسقط أفقي للطابق الأول بالمدرسة الشماعية
بتونس، عن: Golvin, L., Ibid.,pl.50, p.177

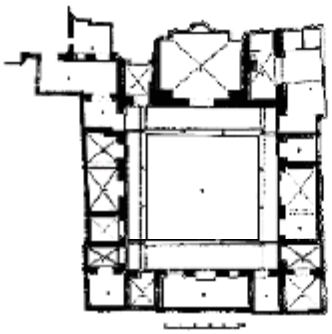

(شكل22) مسقط أفقي للمدرسة العنقية بتونس،عن:
Golvin, L., Ibid.,,pl.52. p.180.

(شكل23) مسقط أفقي لمدرسة ابن تافراكين بتونس،عن:
Golvin, L., Ibid .,pl.53, p.183.

(شكل24) مسقط أفقي للمدرسة المنتصرية بتونس،عن:
Golvin, L., Ibid,,pl.54, p.185.

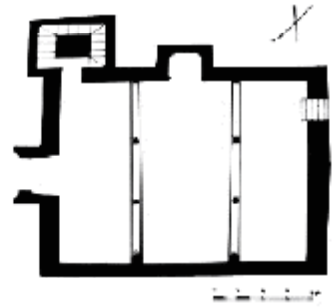

(شكل25) مسقط افقي لجامع سيدي بلحسن بتلمسان،عن:
Bourouiba, R., L'Art Religieux fig.42.

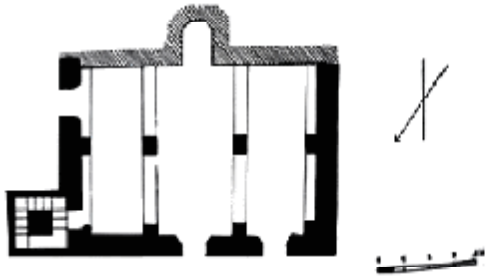

(شكل26) مسقط افقي لجامع أولاد الإمام بتلمسان،عن:
Bourouiba, R., Ibid., fig.43.

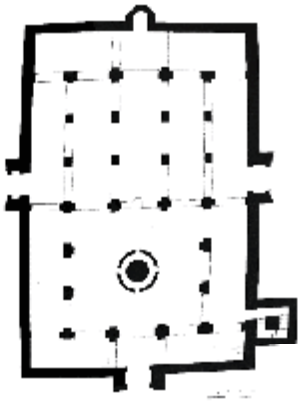

(شكل27) مسقط افقي لجامع سيدي ابراهيم بتلمسان،عن:
Bourouiba, R., Ibid., fig 44.

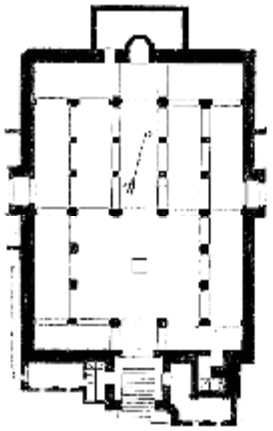

(شكل28) مسقط أفقي لمسجد سيدي بو مدين المريني بتلمسان
عن: Marçais, W., et G., Les Monuments, fig50

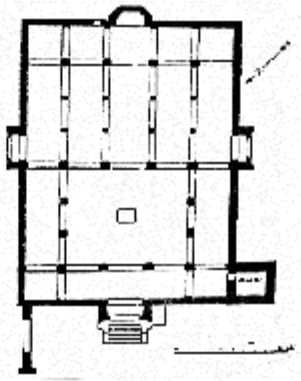

(شكل29) مسقط افقي لمسجد سيدي الحلوي المريني بتلمسان
عن:Marçais, G ., L'Architecture fig51

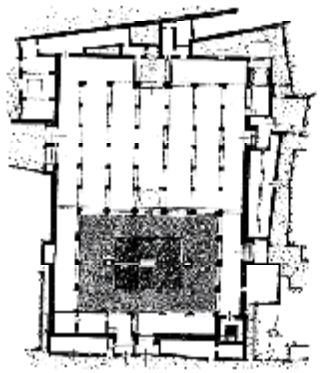

(شكل30) مسقط افقي للمسجد الجامع بفاس الجديد.
عن: Maslow, B., Les Mosquées ,Pl.. 10

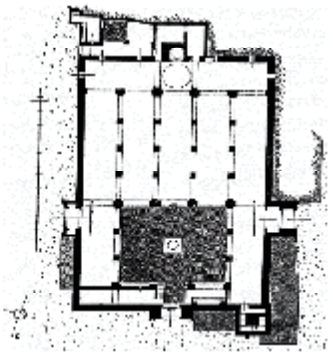

(شكل:31) مسقط أفقي لمسجد الحمراء بفاس الجديد.
عن: Maslow, B., Op.Cit., ,PL. 15

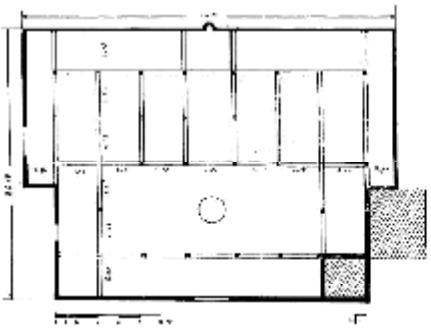

(شكل:32) مسقط أفقي لجامع ابن صالح بمراكش.
عن: Basset, H., et Terrasse, H., Sanctuaris, fig153

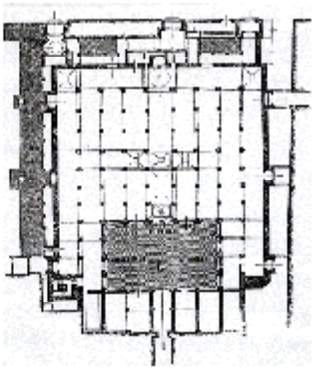

(شكل:33) مسقط لجامع تازة بعد الزيادة المرينية.
عن: Maslow, B., Op.Cit, ,PL. 6

(شكل:34) مسقط أفقي لمسجد باب الجيسة بفاس القديمة.
عن: Maslow, B., Ibid., PL. 32

(شكل:35) مسقط أفقي لمسجد شالة بعد الزيادة المرينية، عن:
عثمان إسماعيل، دراسات جديدة في الفنون الإسلامية، شكل:35

(شكل:36) مسقط أفقي للمدرسة البوعنانية بفاس القديمة
عن: وكالة التخطيط من الكلفة وإنقاذ مدينة فاس، بتصرف

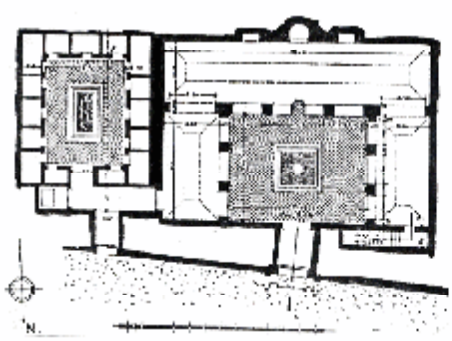

(شكل37) مسقط أفقي لجامع نازة الموحدي
عن: Maslow, B., Op.Cit,fig 5

(شكل38) مسقط أفقي لمسجد ابي الحسن بفاس القديمة
عن: Maslow, B., Ibid., Pl. 27

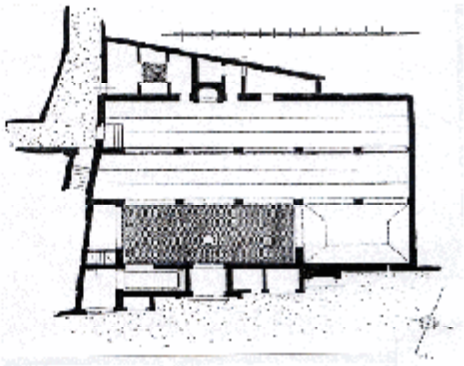

(شكل39) مسقط أفقي لمسجد الشرابليين بفاس القديمة
عن: Maslow, B., Ibid., PL. 24

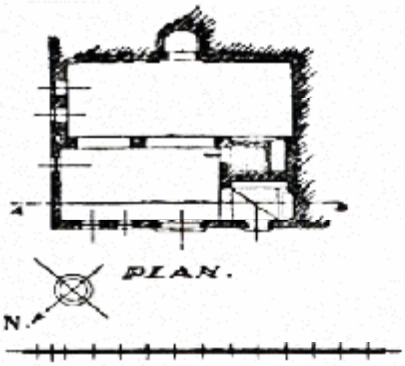

(شكل40) مسقط أفقي لمسجد جزام بن عامر بفاس القديمة
عن: Maslow, B., Ibid., PL. 38

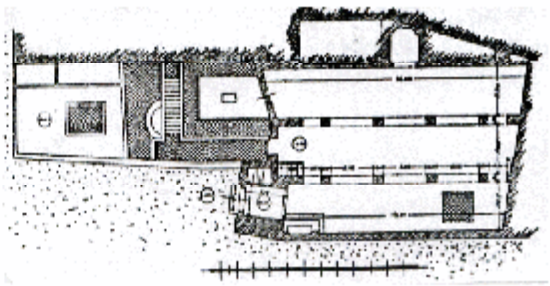

(شكل41) مسقط أفقي لمسجد رأس عين أزليتن بفاس القديمة
عن: Maslow, B., Ibid., PL. 40

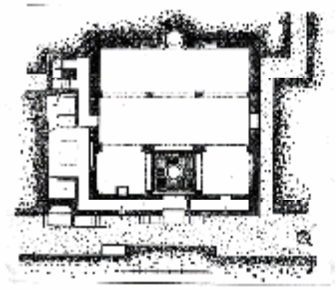

(شكل42) مسقط أفقي لمسجد الزهر بفاس الجديد
عن: Maslow, B., Ibid., PL. 20

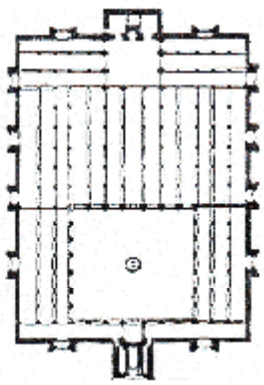

(شكل43) مسقط افقي لجامع المنصورة المريني بتلمسان.
عن: Marçais, G., L'Architecture, fig168

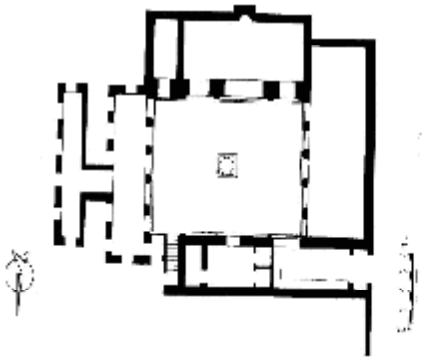

(شكل44) مسقط افقي للدور الأرضي لمدرسة القاضي بمكناس
عن: مديرية التراث الثقافي المغربية، بتصرف

(شكل45) مسقط أفقي للدور الأرضي لمدرسة الصفارين
بفاس القديمة عن: وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس

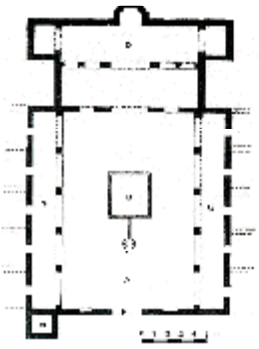

(شكل46) مسقط افقي للدور الأرضي لمدرسة دار المخزن
بفاس الجديد، عن: Golvin, L., Op.Cit.,pl.64, p.227

(شكل47) مسقط أفقي للدور الأرضي لمدرسة الصهريج
بفاس القديمة عن:وكالة التخفيض من الكثافة

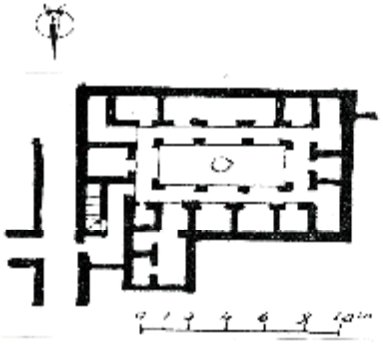

(شكل48) مسقط أفقي للدور الأرضي لمدرسة السبعيين
بفاس القديمة عن:وكالة التخفيض من الكثافة

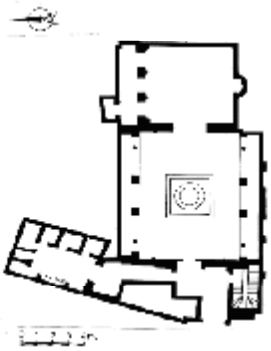

(شكل49) مسقط أفقي للدور الأرضي لمدرسة العطارين بفاس القديمة عن: وكالة التخفيض من الكثافة

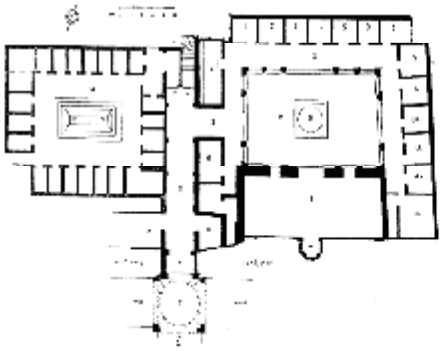

(شكل50) مسقط أفقي للدور الأرضي للمدرسة الجديدة بمكناس
Golvin, L., Op.Cit.,pl.73, p.249.

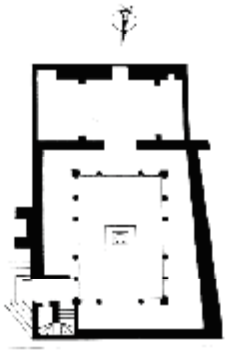

(شكل51) مسقط أفقي للدور الأرضي لمدرسة أبي الحسن بمدا
Terrasse,H., Medersas du Maroc, p.16.

(شكل52) مسقط أفقي للدور الأرضي للمدرسة المصباحية بفاس القديمة عن: وكالة التخفيض من الكثافة

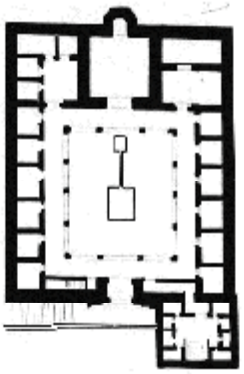

(شكل53) مسقط أفقي لمدرسة سيدي بومدين المرينية بتلمسان عن:صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر ، شكل2، ص 190

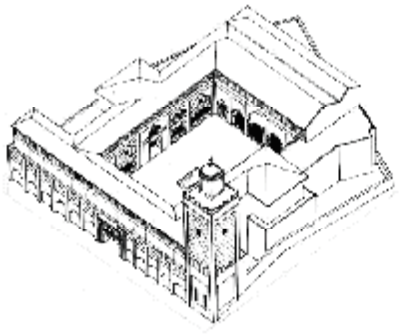

(شكل54) منظور للمدرسة البوعنانية بفاس القديمة
Hillenbrand, Op.Cit., p.245, fig.4,161.

المصادر والمراجع:

أولاً- المصادر العربية:

ابن أبى زرع(على بن عبد الله الفاسى، ت 741هـ/1340م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

_____: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

ابن جبير(أبو الحسين محمد بن أحمد الأندلسي البلنسي، ت: 614هـ/ 1217م): تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار المعروفة برحلة ابن جبير، دار صادر – دار بيروت للطباعة والنشر، 1964م.

ابن الحاج النميري(أبو القاسم برهان الدين بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد، توفي بعد 774هـ/ 1372م): فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة ونشر د. محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، 1990م.

ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، ت: 808هـ/ 1406م): تاريخ ابن خلدون المسمى المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 2000م.

الضعيف الرباطي(محمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد، كان حيًا حتى عام 1238هـ/ 1812م): تاريخ الدولة العلوية السعيدة من نشأتها إلى أواخر عهد مولاي سليمان (1043– 1238هـ/ 1633– 1812م)، دراسة وتحقيق محمد البوزيدي الشيخي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1988م.

ابن القطان(أبى محمد حسن بن على بن محمد بن عبد الملك، توفى منتصف القرن 7هـ/13م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق د. محمود على مكي، دار الغرب الإسلامى، بيروت– لبنان، 1990م.

ابن فضل الله العمري(شهاب الدين أحمد بن يحيى، ت749هـ/1348م): وصف المغرب أيام السلطان أبى الحسن المرينى، مقتبس من "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، نشر وتحقيق محمد المنونى، مجلة البحث العلمي، العدد الأول، السنة الأولى، الرباط، يناير– ابريل 1964م.

ابن مرزوق(أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني، ت: 781هـ/ 1380م): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: د. ماريا خيسوس بيغيرا، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.

الأنصاري(محمد بن القاسم بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الملك السبتى، كان حياً عام 825هـ/1422م): اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1969م.

ليون الإفريقي(الحسن بن محمد الوزان، تُوُفِّيَ بعد 957 هـ / 1550): وصف إفريقيا، ط2، ترجمة د. محمد حجي، ود محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامى، بيروت– لبنان، 1983م.

مارمول(كربخال، أواخر القرن 10هـ/16م): إفريقيا، ترجمة د. محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع المعارف الجديدة، 1988–1989م.
المراكشي(عبد الواحد، كان حيًا في النصف الأول من القرن 7هـ/ 13م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1994م.
الناصري(أبو العباس أحمد بن خالد السلاوى، ت1315هـ/1897م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تسعة أجزاء، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م.
الونشريسى(أحمد بن يحيى، ت 914هـ/1509م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، 13 جزء، خرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامى، بيروت– لبنان، د.ت.
يحيى بن خلدون(أبو زكرياء بن محمد، ت: 780هـ/ 1378م): بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1903م.

ثانيًا– المراجع والدوريات العربية والمعربة:

إبراهيم حركات: السياسة والمجتمع في العصر السعدي, دار الرشاد الحديثة, الدار البيضاء, 1987م.
_____ : المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1993م.
أحمد رمزي: دور الوقف في العمران والتكافل الاجتماعي في تاريخ فاس، بحث نشر في كتاب فاس في تاريخ المغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الندوات، القسم الأول، مطبعة المعارف الجديدة – الرباط، 2009م.
أحمد الطويلى: مراكز الثقافة والعلم بمدينة تونس في العهد الحفصى، تونس، 2000م.
أسامة طلعت عبد النعيم: القيروان أحد معابر التأثيرات الفنية المشرقية في الأندلس– عنصر المحارة نموذجًا، بحث نشر في كتاب ندوة القيروان وجهتها اكتشافات جديدة – مقاربات جديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس 2009م.
أندريه باكار: المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة، ترجمة د.سامي جرجس، دار أتوليبه 74 للنشر، 1981م.
إيمان محمد عيد عطية: أساليب التصميم المعماري في المجتمعات الصحراوية, بحث نشر في المؤتمر المعماري الدولي الثالث (عمارة وتخطيط الصحراء – تجارب الماضي وآفاق المستقبل), كلية الهندسة – قسم العمارة, جامعة أسيوط, نوفمبر 1997م.
جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى, ترجمة محمود عبد الصمد هيكل, منشأة المعارف بالإسكندرية, 1991م.
خيرة بن بلة: العمارة الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني – بين الطراز المحلى والتأثيرات العثمانية، المؤتمر الخامس عشر للاتحاد العام للآثاريين العرب، مدينة وجدة – المملكة المغربية، 2012م.

حسين مؤنس: المساجد، سلسلة عالم المعرفة، العدد 37، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1981.

رشيد بورويبة: الطراز الموحدى ومشتقاته- الحفصى، المرينى، الزيانى والنصرى، بحث نشر في كتاب الفن العربي الإسلامي، الجزء الثاني – العمارة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1995م.

رشيد بورويبة والدكالي: المساجد في الجزائر، سلسلة الفن والثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة التاميرا، روتوبريس، مدريد- إسبانيا، 1970م.

سامي سليمان عليوة: الخصائص البصرية والبيئية للتجمعات العمرانية الهامشية في إقليم جنوب مصر, بحث نشر في المؤتمر المعماري الدولي الثالث (عمارة وتخطيط الصحراء- تجارب الماضي وآفاق المستقبل), كلية الهندسة- قسم العمارة, جامعة أسيوط, نوفمبر 1997م.

السيد عبد العزيز سالم: روائع الآثار الإسلامية بجمهورية الجزائر، بحث نشر في مجلة المجلة، العدد التاسع والعشرون، مايو 1959م.

ـ: مدارس فاس، بحث نشر في كتاب الشعب، عدد 78، بيوت الله مساجد ومعاهد، الجزء الثاني، مطابع الشعب، 1960م.

ـ: المغرب الكبير، الجزء الثاني- العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

صالح بن قربة: المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م

صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007م.

عامر حسن أحمد عجلان: المساجد الجامعة بمدينة تونس في العصر الحفصى(626-982هـ/1227-1574م)-دراسة آثارية معمارية، رسالة ماجستير، قسم الآثار، كلية الآداب – جامعة سوهاج، 2011م.

عبد الرحمن ابن زيدان: الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية بالرباط، 1937م.

عبد الرحمن فهمي محمد: حول مئذنة من روائع الفنون الإسلامية، بحث نشر في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، جامعة الملك عبد العزيز، السنة الثالثة، العدد الثالث، 1398هـ.

عبد العزيز توري: من خصائص عمارة مدينة فاس العتيقة، بحث نشر في كتاب فاس في تاريخ المغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الندوات، القسم الثاني، مطبعة المعارف الجديدة – الرباط، 2009م.

عبد العزيز الدولاتلي: مدينة تونس في العهد الحفصي، ترجمة: محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي، دار سراس للنشر، تونس، 1981م.

عبد العزيز لعرج: مدينة المنصورة المرينية بتلمسان – دراسة تاريخية أثرية في عمرانها وعمارتها وفنونها، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006م.

ـ: جمالية الزخارف النباتية في الفن الإسلامي بجامعي تلمسان الكبير وسيدي بلحسن، بحث نشر في كتاب مؤتمر تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان – الجزائر 2011م.

عثمان عثمان إسماعيل: نشأة الفن الإسلامي وأصوله وتأثيره على فنون أوربا (I)، دعوة الحق، العدد الخامس، السنة الثالثة، وزارة عموم الأوقاف، الرباط – المغرب، فبراير 1960م.

ـ:طرز الفن الإسلامي في بلاد المغرب والأندلس، بحث نشر في مجلة دعوة الحق، العدد الثامن، السنة الثالثة، وزارة عموم الأوقاف، الرباط – المغرب، مايو 1960م.

ـ: الفن الإسلامي بالمغرب، بحث نشر في مجلة دعوة الحق، العدد العاشر، السنة الثالثة، وزارة عموم الأوقاف، الرباط – المغرب، يوليو 1960م.

_____: تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى،الجزء الرابع، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م.

عفاف الهلالي: مدرسة الساحل المعمارية محدودية هذا المفهوم في دراسة المعالم الدينية بجهة الساحل، بحث نشر في كتاب ندوة القيروان وجهتها اكتشافات جديدة – مقاربات جديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس 2009م.

لطيفة بوراية: نماذج من الزخرفة الهندسية في عمارة جامعي أبي مدين والحلوى بتلمسان، بحث نشر في كتاب مؤتمر تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان – الجزائر 2011م.

لمياء حده: الزخرفة المعمارية الحفصية – دراسة في تاريخ الفن الإسلامي بإفريقية، نابولي– إيطاليا،2004م.

ليوبولدو توريس بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ترجمة: د. سيد غازي، دار المعارف بمصر، 1971م.

محمد أبو رحاب: العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين– دراسة آثارية معمارية، دار القاهرة، 2008م.

ـ: جامع ابن صالح المريني بمدينة مراكش – دراسة آثارية معمارية،كتاب المؤتمر الثالث عشر للاتحاد العام للآثاريين العرب، الندوة العلمية الثانية عشر، الجزء الثاني، طرابلس – الجماهيرية العربية الليبية، 2010م.

ـ: المدارس المغربية في العصر المريني– دراسة آثارية معمارية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2011م.

ـ: ملامح تخطيط العمائر الدينية المرينية بالمغرب الأقصى ومدينة تلمسان بالمغرب الأوسط – دراسة آثارية مقارنة، بحث نشر في كتاب مؤتمر تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان – الجزائر 2011م.

محمد الباجي بن مامى: جوامع تونس في العهد العثماني دراسة تاريخية وفنية ومعمارية, بحث نشر في مجلة جمعية الآثاريين العرب, المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي، العدد الأول، القاهرة، يناير، 2000م.

محمد الباجي بن مامى: مدارس مدينة تونس من العهد الحفصى إلى العهد الحسيني، المعهد الوطني للتراث، تونس 2006م.

محمد سيف النصر: نظرة عامة إلى المدارس اليمنية تخطيطاتها وعناصرها المعمارية، بحث نشر في مجلة الإكليل، السنة الثالثة، العدد الأول، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، 1985م.

محمد الكحلاوي: العمارة الإسلامية في الغرب الإسلامي– عمائر الموحدين الدينية في المغرب، دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراه، كلية الآثار– جامعة القاهرة، 1986م.

ـ: المدارس المغربية دراسة أثرية معمارية، مجلة العصور، المجلد السادس، الجزء الأول، دار المريخ للنشر، لندن، يناير 1991م.

ـ: السمات المعمارية بين مساجد دهلى ومساجد الغرب الإسلامى، بحث نشر في كتاب ندوة الآثار الإسلامية في شرق العالم الإسلامى، كلية الآثار – جامعة القاهرة، 1998م.

محمد المنونى: حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب 1989م.

ـ: ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب2000م.

محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 – 17م, مطبعة أفريقيا الشرق، الدار البيضاء, المغرب 1991م.

محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس (نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين)، الجزء السابع، طبعة خاصة من مكتبة الخانجي لمكتبة الأسرة بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب،2001م.

محمد عبد الستار: أضواء على أهمية الإنشاء في تاريخ العمارة الإسلامية, مجلة العصور, العدد الخامس, الجزء الثاني, دار المريخ للنشر, لندن, 1990.

محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999م.

مراد الرماح: مدرسة القيروان المعمارية، الفن العربي الإسلامي ، الجزء الثاني– العمارة،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،تونس 1995م.

مصطفى عبد الله شيحة: دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمنية، بحث نشر في كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، سلسلة تاريخ المصريين، العدد 51، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م.

نجوى عثمان: مساجد القيروان, دار عكرمة, دمشق – سوريا, 2000م.

هنري تيراس: مسجد لالا عودة بمكناس, ترجمة عبد اللطيف ملين, بحث نشر في مجلة دعوة الحق, العدد الأول, السنة السادسة, مطبعة فضالة, المحمدية, أكتوبر 1962م.
ياسر إسماعيل: مدرسة القيروان المعمارية وأثرها في عمائر القاهرة الدينية حتى نهاية العصر المملوكي البحري، بحث نشر في كتاب ندوة القيروان وجهتها اكتشافات جديدة – مقاربات جديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس 2009م.
يحيى وزيري: العمارة الإسلامية والبيئة – الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي, سلسلة عالم المعرفة, عدد (304), المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت, يونيو 2004م.

ثالثًا– المراجع الأجنبية:

Basset, H., et Terrasse, H., Sanctuaires et Fortersses Al Mohades, Hespéris, Tome VII, Librairie Larose, Paris, 1927.
Bel, A., Inscriptions Arabes de Fès, Paris, 1918.
Bourouiba, R., L'Art Religieux Musulman en Algérie ،S. N. E. D., Algeri, 1983
Caillé, J., Le Mosquée de Hassan a Rabat, Paris, 1945.
Hillenbrand,R., Islamic Architecteur form, function and meaning, Edinbrgh University Press 1994.
Lézine,A.,Mahdiya,Recherches d'Archéologie Islamique, Paris,1965.
Golvin, L., Architecture Musulmane la Madrasa Médiévale, Edisud, 1995.
Marçais, G., L'Architecture Musulmane d"occident Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile, Paris, 1954.
Marçais, W., et G., Les Monuments Arabes de Tlemcen, Paris, 1903.
Maslow, B., Les Mosquées de Fès et du Nord du Maroc, Les Éditions d'Art et d'Histoire, Paris, 1934.